جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
فلسفة عامة

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
شعبة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
مريم علواني

يوم:26/04/2018

أخلاقيات الطب عند أبي بكر الرازي

لجنة المناقشة:

علي تتيات	أ. د.	الجامعة	مقرر
حمدي لحكل	أ. مح أ	الجامعة	رئيس
نوي	الرتبة	الجامعة	مناقش

السنة الجامعية:2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

الشـكـر و ا لـعرفـان

الحمد الله حتى يبلغ الحمد منتهاه أشكر الله عز وجل على فضله وتوفيقه لي طوال مشواري الدراسي، من لا يشكر الناس لا يشكر الله ومن هنا أتوجه بأسمى عبارات الشكر والثناء والاحترام لأستاذي المشرف **علي تتيات**، الذي كان أول من آمن بقدراتي في دراسة هذا الموضوع وشجعني على العمل والجهد لبلوغ المراد، وكان لي خير موجه ومعين لي في مذكرتي، كما علمني بأن العلم والبحث لا حدود لهما فهو صاحب المقولة الشهيرة التي لا زالت راسخة في ذهني: لا تعلمني كيف أكل السمك بل علمني كيف أصطاده، وأتقدم بشكري إلى أساتذة الفلسفة الذين تجسد فيهم مقولة " وكاد المعلم أن يكون رسولا" وبثوا فينا روح التفلسف والنقد والتحليل، وأخص بالذكر أستاذي جمال بن سليمان الذي حرص على توجيهي في هذا العمل وسهل عليا عملية البحث فيه.

الإهـــــداء

اهدي عملي هذا إلى غاليتي ونصفي وصديقتي وبيت أسراري
إلى من كانت بلسما لكل جروحي حبيبتي **أمي الغالية**

إلى حبيبي وسندي في الحياة إلى من ابيض رأسه شيبا
من أجل أن يجعلني ملكة على عرشه أهديه إلى **أبي العزيز**

إلى أخي وحبيبي وقدوتي في الحياة إلى من زرع في قلبي معنى الإعتماد على النفس
إلى من شجعني و كان معلمي وسندي أخي الغالي **عقبة**

إلى سندي في الحياة **إخوتي الأحباء: بشير حسني مبروك**

إلى أختي التي لم تلدها لي أمي إلى توأم روحي وبيت أسراري حبيبتي **ملاك**

إلى من كانت روحها طاهرة إلى من رحلت عن الدنيا ولم ترحل من ذاكرتي **جدتي الغالية نوة**

اهديه إلى إستاذي ومرشدي وناصحي إلى من لازمني خطوة بخطوة خلال هذا عمل
محمد قاسم حفظه الله ورعاه.

إلى صديقتي الحلوة ورفيقة دربي **يسرى**

إلى أغلى ما أهدتني إيها الجامعة صديقتي وحبيبتي **إكرام**

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الشكر والعرفان	
الإهداء	
مقدمة	
الفصل الأول: تاريخ الأخلاق الطبية في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية	
تمهيد	02
المبحث الأول: تاريخ أخلاق الطبية قبل الإسلام	03
المطلب الأول: تاريخ أخلاق الطب عند الفراعنة	03
المطلب الثاني: تاريخ أخلاق الطب عند البابيليين	06
المطلب الثالث: تاريخ أخلاق الطب عند اليونانيين	09
المبحث الثاني: تاريخ الأخلاق الطبية بعد الإسلام	15
المطلب الأول: الأخلاق الطبية عند أبي بكر الرازي	15
المطلب الثاني: الأخلاق الطبية عند أبو قاسم الزهراوي	19
المطلب الثالث: الأخلاق الطبية عند ابن سينا	24
المبحث الثالث: الرازي بين الفلسفة والطب	28
المطلب الأول: معالم فلسفة أبي بكر الرازي	28
المطلب الثاني: مجهودات الرازي الطبية والعلمية	31
المطلب الثالث: فلسفة الأخلاق والأخلاق الطبية	33
الفصل الثاني: أخلاقيات الحياة الطبية عند أبي بكر الرازي	
المبحث الاول: الأخلاق وإيتيقا بين النظري والتطبيقي عند الرازي	37

المطلب الأول: تحديد المفاهيم الأخلاقية	37
المطلب الثاني: أخلاق عند الرازي بوصفها إيتيقا الاستقلالية	44
المطلب الثالث: إيتيقا الاستقلالية المطلقة للعقل والنفس وحياة الدنيا	47
المطلب الرابع: فصل الأخلاق عن الدين	59
المبحث الثاني: الممارسة الطبية بين أخلاق الطبيب وضوابط المهنة الطبية	63
المطلب الأول تحديد المفاهيم الأساسية	63
المطلب الثاني: تطور الطب بين التعليم والصناعة الطبية	64
المطلب الثالث: ضوابط الأخلاق الطبية لباحث الطبيب عند الرازي	70
المطلب الرابع: مساهمة الطب في مقاصد الشريعة	82
المبحث الثالث: القوانين المنظمة لأخلاقيات المهنة الطب	89
المطلب الأول: المدونة أخلاقية لمهنة الطب والتدابير المرافقة لها	89
المطلب الثاني: الميثاق الإسلامي العالمي لأخلاقيات الطب	91
المطلب الثالث: المنظمات الدولية وميثاق الدولي لأخلاقيات الطب	92
الفصل الثالث: من أخلاقيات الطب في تصور أبي بكر الرازي إلى البيوإتيقا	
المبحث الأول : أخلاقيات الطب والبيولوجيا (البيوإتيقا)	97
المطلب الأول: دلالة مصطلح البيوإتيقا ونشأته	97
المطلب الثاني: علاقة البيوإتيقا ببعض العلوم	102
المطلب الثالث: المشاكل الأخلاقية الناجمة في مجال الطب	106
المبحث الثاني: أهم الموضوعات البحثية في مجال الأخلاق الطبية والحيوية	113
المطلب الأول: الكرامة الإنسانية	113
المطلب الثاني: مبادئ الأخلاق الطبية	115
المطلب الثالث: منطقية الأخلاق الطبية والحيوية	118

المبحث الثالث: الرازي بين النقد والتقييم من طرف العرب والغرب	120
المطلب الأول: آراء العرب في أبي بكر الرازي	120
المطلب الثاني: آراء الغرب في أبي بكر الرازي	123
خاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	129
الملخص	133

المقدمة

يعتبر الطب من أقدم النشاطات التي مارسها الإنسان منذ الأزل وذلك لارتباطه بأقدم ظاهرة يتعرض لها الإنسان وهي المرض، مما وقع على عاتق الإنسانية السعي والبحث المستمر عن سبل العلاج، عبر العصور القديمة، فقد كانت هذه الأخيرة تربط مهنة الطب بالسحر والشعوذة، وكانت تسيطر عليهم ما يعرف بالكهنة، الذين كانوا ينظرون إلى العلل على أنها لعنة من عند الآلهة، وهذا ما نجده في الحضارة المصرية والبابلية في القديم، حيث أن ممارسة الطب لديهم كانت تخضع لقواعد صارمة، تحدد بدقة ووضوح، لكن مع بدايات ظهور الحضارة اليونانية، صار الطب ينفصل شيئا فشيء عن هذه المعتقدات،حيث أن الطبيب عندهم كان يلقب الحكيم، وذلك لأنهم كانوا يعرفون تماما أن معنى الحكمة أوسع وأشمل وأدق عن الباقي، فاعند الرؤية لطبيب نجد أنه يعالج الأمراض أما الحكيم فهو يعالج النفوس ويطبب القلوب، فالحكمة تشمل المعرفة والفهم وأخلاقيات الطبية، وهذه الأخيرة عالجها الطبيب أبقراط في قسمه الذي حاول أن يضع فيه أساسيات هذه المهنة من آداب وفن المعاملة مع المرضى، ولكن مع بزوغ فجر الحضارة الإسلامية بدأ النهوض بالطب والعلوم الإنسانية والسعي لتطويرها وتأسيس مدارس الطب في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية، كما حظيت الجوانب الأخلاقية والفلسفية للطب باهتمام البالغ وقد ظهر ذلك في حرص الأطباء والفلاسفة المسلمين أمثال أبي بكر الرازي على تبني هذا المجال وإن صحة القول نجد أنه تبنى قسم أبقراط الذي وجد فيه الأخلاقيات الطبية التي تحدث عنها الرازي في كتابه أخلاق الطبيب، حيث أن هذا الأخير يعتبر ميثاق شرف مهنة الطب فقد اعتمد عليه جل أطباء العرب والغرب، فالرازي من خلال هذا العمل حاول أن يدرب تلاميذه على حب هذه المهنة، وأن يغرس فيهم روح العمل النازه والشريف ومساعدة الطبقات الكادحة، فهذا الميثاق قد جعل الممارسة الطبية عند الرازي تحمل بعدا إنسانيا أكثر، ومع تطور الإنسانية وتطور الطب وظهور تقنيات طبية وبيولوجية جديدة، حيث نتج عنها مشاكل أخلاقية كالموت الرحيم والتجارب الأخلاقية على الإنسان والحيوان، والهندسة الوراثية، و مشكلات التقنيات الحيوية التي حاولت أن تبين لنا أن الفكر الأخلاقي القديم غير قادر على استيعابها

وتقديم الحلول المناسبة لها، فدخول هذه التقنية البيولوجية ومحاولة استخدامها على البشر خاصة وكائنات الحية عامة، مما زرعت هذه الأخيرة الخوف في الساحات الفلسفية والدينية والقانونية، فقد جعلت هؤلاء العلماء يفزعون ويهرعون من المخلفات السلبية الناتجة عن هذا التطور، مما أدى بهؤلاء وخاصة الفلاسفة إلى إعادة إحياء مبحث القيم "الإكسيولوجيا" بصورة جديدة تهتم بهذه المشكلات الناتجة عن التقنيات البيولوجية، التي تسمى الآن بالبيوإتيقا فهدفها الأساسي هو حماية قداسة الحياة الإنسانية ومكافحة المشكلات الأخلاقية، التي ترجع بالسلب على حياة الإنسان، كما أن الأخلاق بصفة عامة تبين لنا أن المهنة الطبية على قدر نبلها وعظم شأنها، هي عمل إنساني بالدرجة الأولى لما لها من تأثير بالغ على سلامة الجسد، فهي قد شملت تطبيب الجسد والروح معا مثلما جاء في الأخلاق الطبية عند الرازي، فالفضيلة الأخلاقية لطبيب تتشكل وتنمو من خلال تعامله والإنساني مع مرضاه وليس من خلال خبراته العلمية، ولهذا لم تصل وتبلغ أي أمة من الأمم ما بلغه المسلمين من العناية بأخلاقيات المهنة الطبية، لأن الأخلاق في العقيدة الإسلامية قائمة على أسس متكاملة من الآداب والقواعد المرسخة في حياتهم.

وعلى هذا الأساس ارتأيت أن يكون عنوان بحثي: الأخلاقيات الطبية عند أبي بكر الرازي ومن بين الأسباب والدوافع التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع أذكر: الرغبة الذاتية في الرجوع إلى التصورات الفلسفية والأخلاقية القديمة التي وضعها لنا أبي بكر الرازي، وكذلك رغبتي في محاولة فهم على فلسفة الأصول الفلسفية لأخلاقيات الطب لأنه أقرب مبحث للإنسان.

أما الدوافع الموضوعية والتي تعتبر أكثر دافعية لاختيار هذا الموضوع نجد أن أغلب الأبحاث والكتب العربية القديمة ومن بينها أخلاقيات الطب عند الرازي التي تعتبر عند الغير الدارسين والنابهين أنها من صنع العقل الطبي الغربي، كذلك نجد أن هذا الموضوع تناوله في الأوساط العربية قليل حيث لا نجده بالرصيد الكافي في مكتباتنا وهذا ما استحق بذل جهود ومساهمة في إثراء بهذا الموضوع ولو بالقليل.

أما الأهداف التي يُؤمَلُ تحقيقها على مستوى هذه الدراسة نذكر منها التعرف على الفلسفة الأخلاقية عند الرازي، كذلك التعرف على الأخلاقيات الطبية ودورها في معالجة المعضلات الناجمة عن التطور التكنولوجي، والتعرف أيضا على البيوإتيقا ومواضيعها ومجالاتها، وعلاقتها ببعض العلوم، كذا الهدف من هذه الدراسة هي محاولة الإلمام بجل المواضيع الأخلاقيات الطبية وتجسيدها على أرض الواقع كما كانوا يأملون أغلب الفلاسفة وعلماء المسلمين أمثال الرازي وابن سينا وغيرهم.

ومن خلال ما تقدمنا به في بحثنا هذا نطرح **الإشكالية** التالية:

_كيف يمكن اعتبار تصور أبي بكر الرازي في الأخلاقيات الطبية استباقا لعصره وممتدا إلى العصر الحالي وهل كانت نظرته إلى الأخلاق الطبية نظرت بيوإتيقية؟

ويمكن معالجة هذه الإشكالية انطلاقا من الإجابة على الأسئلة التالية التي تلخص أهم النقاط التي يتطلب معالجتها ضمن فصول:

_فيما تمثلت الأخلاق الطبية في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية؟

_ما هي طبيعة علاقة الأخلاق وإيتيقا في الممارسة الطبية عند الرازي؟

_كيف كان انعكاس تصور الرازي على البيوإتيقا؟

وقد اتبعنا في تناولنا لموضوع الدراسة منهجين، المنهج التاريخي كما هو موضح في الفصل الأول والثاني والثالث، والذي يتمثل في سرد تاريخ ظهور الأخلاق الطبية في العصور القديمة وكذا في الحضارة الإسلامية والبيوإتيقا، بالإضافة إلى ذلك استخدمت المنهج التحليلي النقدي والمقارن، حيث قمنا بتحليل الإشكالية المطروحة ثم إعادة تركيب ما توصلنا إلى فهمه، كما استعملناه في إبراز فلسفة الرازي وممارسة الطبية الأخلاقية عنده وهذا ما وجدناه في الفصل الأول والثاني، وكذلك من خلال طرح الإشكاليات الأخلاقية الناجمة عن تطور التقنيات الطبية وظهور في الفصل الثالث.

ومن أجل أن يتسنى لنا الإجابة على هذا الإشكال والتساؤلات قسمنا بحثنا إلى ثلاث فصول:

الفصل الأول تحت عنوان تاريخ الأخلاق الطبية في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية تناولت في المبحث الأول تاريخ الأخلاق الطبية قبل الإسلام كالأخلاق عند الفراعنة والبابليين واليونانيين، أما المبحث الثاني تناولت فيه تاريخ الطب بعد الإسلام كأخلاق الطب عند الرازي وأبو قاسم الزهراوي وابن سينا، أما في المبحث الثاني فقد تناولت فيه معالم فلسفة الرازي ومجهداته الطبية والعلمية.

أما الفصل الثاني اندرج تحت عنوان أخلاقيات الحياة الطبية عند أبي بكر الرازي، تناولت في المبحث الأول الأخلاق وإيتيقا بين النظري والتطبيقي عند أبي بكر الرازي المتمثلة في الإيتيقا والاستقلالية المطلقة للعقل وكذا فصل الأخلاق عن الدين ، أما المبحث الثاني فكان يندرج حول الممارسة الطبية بين الأخلاق الطبيب وضوابط المهنة الطبية حيث تحدثنا فيه عن تطور الطب بين التعليم والصناعة الطبية عند الرازي، وكذلك الضوابط الأخلاقية للباحث الطبيب عند الرازي، ومساهمة الطب في الحفاظ على مقاصد الشريعة، أما المبحث الثالث تناولت فيه القوانين المنظمة لأخلاقيات مهنة الطب فقد شمل هذا المبحث مدونة أخلاقيات الطب والتدابير المرافقة لها وكذلك ميثاق الإسلامي العالمي لمهنة الطب، والمنظمات الدولية والميثاق الدولي لأخلاقيات الطب.

أما الفصل الثالث بعنوان من أخلاقيات الطب في تصور أبي بكر الرازي إلى البيوإتيقا، تناولت في المبحث الأول أخلاقيات الطب والبيولوجيا حاولت تحدث فيه عن نشأت البيوإتيقا وعلاقتها ببعض العلوم، وكما تناولت المشاكل الأخلاقية الناجمة في مجال الطب وكيف كانت نظرت الرازي لها، أما المبحث الثاني تناولت فيه أهم الموضوعات البحثية في مجال الأخلاق الطبية والحيوية المتمثلة في كرامة الإنسان، مبادئ الأخلاق الطبية، ومنطقية الأخلاق الطبية والحيوية، أما المبحث الثاني فكان عبارة عن نقد وتقيم مقدمة من طرف علماء العرب والغرب لأبي بكر الرازي.

وتظهر أهمية هذا البحث في جدته وارتباطه بأخلاق الفلسفية الجديدة كالبيوإتيقا وكذلك ارتباطها بالأخلاق الطبية الكلاسيكية وهو ما حولنا توضيحه في هذا البحث.

ومن بين هذه الصعوبات التي واجهتني:

لا تخلو أي محاولة في البحث العلمي من أي صعوبات، حيث أن الإنسان لا يمكن أن يتذوق حلاوة البحث ’لا بعد أن يبذل فيه جهدا طيبا، فنظرا لاشتمال هذا البحث على مواضيع عدة فقد رافقتني بعض الصعوبات من أجل الإلمام ولو بالقليل لتحصيل هذا البحث نذكر منها: صعوبة في إعادة ترجمة مصادر أبي بكر الرازي وإعادة تدوين مؤلفتيه مما أدت إلى خلط في المصطلحات، كذلك ندرة في بعض المصادر التي يبنى عليها موضوع بحثنا.

الفصل الأول:

تاريخ الأخلاق الطبية في الحضارات الشرقية والحضارة الإسلامية

توطئة

إن من البديهي أنه إذا أردنا أن نتحدث عن تاريخ الطب وتأريخ تدوين وثائقه ، وجبا علينا أن نبدأ كما لو نبدأ بتدوين سيرة لأي علم من أعلام التأريخ، فنركز جل انتباهنا على العناصر الأساسية في سيرته ، فإذا كان الأمر كذلك، وجب علينا أن نبحث في الطب المصري والطب البابلي حيث أنهما سبقا الطب اليوناني من وجهة النظر الزمنية، وأن نلقي نظرة على ما كان عليه الطب قبل النشوء الحضارات، ففي العصور القديمة ارتبطت مهنة الطب بفكرة الشعوذة والسحر وما يعرف بالكهنة، فهم يعتقدون أن المرض عبارة عن أرواح شريرة تسكن جسم الإنسان أو جزء من بدنه، ومن يصاب بهذا المرض لا شفاء له إلا بتطبيق ما يدعونه بفكرة الرقية أو التعويذة التي يعتبرونها مبدأ للشفاء من ذلك الداء الذي يعانيه المريض فهم يعتبرون أن الساحر هو معالج الوحيد الذي بيده الشفاء.

المبحث الأول: تاريخ أخلاق الطب عند حضارات الشرقية القديمة

المطلب الأول : الأخلاق الطبية عند الفراعنة

يعد المصريون القدامى من أقدم الشعوب التي ظهرت فيها ممارسة مهنة الطب، حيث وصلت فيه أعلى المستويات العلم، فالتشخيص والتشريح والجراحة والتحنيط، تعد من الأمور التي بلغت مستوى عالي في الحضارة الفرعونية لذلك نجد هياكلهم والمومياوات العجيبة تحمل آثار عمليات في مختلف أجزاء الجسم، ولذلك توجد الكثير من المتاحف العالم تحتفظ بين أثارها وكنوزها الكثير من البرديات التي تبين لنا أنواع الطب التي مارسوها، وجعلوا من (أيمحوتب) "إلها" للطب مع أنه ليس ثمة أي دليل معاصر على كونه طبيبا[1]، إلا أن مسؤولياته الدينية كانت ذات علاقة وثيقة بالسحر، وفي مصر القديمة كان السحر والطب وثيقي الصلة وأقيمت له مزارات ومعابد في مختلف أرجاء مصر . وكان يعتقد أن حالات الشفاء عجيبة كانت ممكنة بفضل تدخله، ومن هنا كانت معابده تغص بالمرضى الذين ترك كثير منهم سجلات تفيض بالشكر والعرفان، وقد عثر على تماثيل وأنصاب بأعداد كبيرة "لإيمحوتب"* كإله الشفاء.[2]

وقد أشاد "هوميروس "ببراعة اجتهاد الأطباء المصريين حيث قال "أن هؤلاء الأطباء كانوا ذو كفاءة عالية في معالجتهم للعديد من الأمراض حيث تعدد ظهور العديد من الأمراض وتفرعت تخصصات هؤلاء الأطباء" ويقصد بذلك أنه خلال تلك الفترة ظهرت العديد من الأمراض فكان لكل طبيب تخصص خاص بيه ولهذا يوجد نوعين من أطباء هنالك من يعالجون المرضى بالسحر والشعوذة وهنالك من يطببوهم بالعقاقير والجراحة.[3]

---

[1] _ راغب سرجاني:قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،ط1 ، 2009،القاهرة، ص 11.

***أيمحوتب (im-hatap) : في** قرن27 ق.م. يعتبر أبو الطب والأطباء في مصر القديمة، وكذلك يعتبر أول طبيب ومهندس معماري في التاريخ. وللإطلاع أكثر أنظر إلى الموقع http://www.reuters.com

[2] _ راغب السرجاني: مرجع نفسه، ص11

[3] _ عيسى بن علي الجوجلي: تاريخ وأخلاقيات المهن الصحية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008، ص22.

إن الأطباء المصريون من أقدم الأطباء ظهورا ، بحيث أنه لديهم معتقد ألا وهو "بقاء الأجسام وإعادة الأرواح إليها"[1]. بمعنى أن أطباء المصريين كانوا يعتقدون أنهم بإمكانهم الحفاظ على الجثث الموتى ويمكن إعادة الأرواح إلى تلك الأجسام وبالتالي الحفاظ عليها مدى الحياة ، فأوجدوا "التحنيط" الذي تخطوا وتقدموا بيه عن سواهم من الأمم .

وعند ذكر التحنيط نجد أنه في سفر التكوين تم إشارة إلى تحنيط جسد سيدنا "يعقوب " عليه السلام بأمر من إبنه يوسف وزير ملك مصر، بحيث نجد أن ظهور فكرة التحنيط كانت بدايتها بتحنيط جسد "سيدنا يعقوب عليه السلام" وذلك لأول مرة في الحضارة الفرعونية وعرف التحنيط بأن له ثلاثة طرق وهي:[2]

1/ تحنيط الأغنياء : والتي يتم فيها شق الخاصرة يسرى تحت القيصري، أي أخر الأضلاع السفلية لجسم الإنسان كما يتم في هذه الوضعية نزع الأحشاء من ذلك الشق باستثناء القلب والكليتين ، لأنهم يعتقدون أنه بنزع بقية الأشياء من جسم الميت مع الإبقاء على الكليتين والقلب اللذان يعدا سبب الحياة.

بالإضافة إلى ذلك يتم نزع دماغ الميت عن طريق المنخرين بأداة خاصة ، ثم يتم غسله بالخمر البلح، وبعدها يخاط شق الرأس للميت، بعد ذلك يتم نقع الجثة المحنطة سبعين يوما في النطرون المعروف (بملح البارود) ثم تلف الجثة في قماش خاص كما أنه يتم وضع العديد من المجوهرات والأحجار الكريمة في لفائف تلك الجثة.

وهذا إدعاء على غنى الميت ، وهذا ما يختلف فيه التحنيط من شخص إلى أخر بمعنى أن فكرة الغنى تكون بارزة في فترة التحنيط، فقد بلغت قيمته للطبقة الغنية والمشاهير الفرعونية مبلغ مالي كبير يقدر بمائتين وخمسين ليرة إنجليزية من نقودنا. إن دل هذا فإنه يدل على أن معتقد التحنيط في الحضارة الفرعونية لقي اهتماما خاصا حيث كانت تخصص له العديد من المبالغ المالية.

[1] _ مرجع نفسه، ص22.

[2] _ عيسى اسكندر معلوف: تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،(د،ط)، 2014، مصر،ص 10

2_ تحنيط الطبقة الوسطى : عملية تحنيط هذه الطبقة في المجتمع الفرعوني تتم بطريقة مختلفة لما سبقها حيث يتم فيها "نزع الدماغ من المنخرين بثغرة تفتح في مجرى الأنف ويملؤه بزيت الأرز أو بمذوب النطرون الذي تُنقع الجثة فيه أيضا سبعين يوما، حتى تذوب الأحشاء والأجزاء الرخوة كلها، لا يبقى منها إلا الجلد والعظم".

3_ تحنيط طبقة الفقراء: ومن جهة أخرى فتحنيط طبقة الفقراء أو الطبقة الكادحة تختلف اختلافا كبيرا عن سبقاتهاطبقة الأغنياء وطبقة الوسطى، حيث يتم تحنيطهم بطريقة بسيطة وسهلة والتي يطبق عليها توزيع المر وغسيل كافة الجثة به، وذلك من خلال حقن هذه الجثة بسائل يسمى سرمايا وهم يعتقدون أن هذا المحلول بالصبر لداء الفقراء، ثم يتم تمليح هذه الجثة فترة سبعين يوما، وتحنيط الفقراء هي أسهل طريقة وأقلها تكلفة.[1]

ومن هنا نرى أن الطب المصري ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعابد، فهم يعتقدون أن الآلهة التي يعبدونها هي السبب الوحيد للشفاء المرضى من الأمراض المنتشرة آن ذاك ومن بين الآلهة نجد "توت" الذي كان نصير الأطباء بالإضافة إلى الآلهة "إيزيس" فقد كانت لها مكانة عالية لدى معتقديها فهم يعتقدون أنها هي الآلهة الشافية من كل أمراض المستعصية وامتدت جذور هذه الآلهة إلى أيام الإمبراطورية الألمانية فقد شملت العالم الغربي ككل وذلك نظرا لانتشارها الواسع بين معتقديها، حيث انتقلت إلى بقية الحضارات الغربية.

ويمكننا القول بأن الكهنة هم أول من مارس مهنة الطب في الحضارة الفرعونية القديمة ، ومن ثم نشأت فئة أخرى عكس ما سبقها وتسمى فئة الأطباء الذين كانوا يعملون من غير رجال الدين، وانقسمت هذه الفئة إلى درجتين:[2]

الأولى كانت وسيلتها في العلاج هي اللجوء إلى السحر والشعوذة، فاستعملت الأدوية والمستحضرات الطبية المستخلصة من الأعشاب والحيوان فهي تستعمل في تلك الفترة كعوامل مساعدة لطرد الأرواح الشريرة.

[1] _ عيسى اسكندر معلوف: مرجع نفسه، ص11.
[2] راغب، السرجاني، مرجع سابق،ص ص 11-12.

أما الثانية فاعتمدت في علاجها على العقاقير والجراحة، وما يميز هذه الدرجة هو بروز مختصين بمعنى تعدد المهن الطبية وابتكار أنواع العلاج المختلفة.

كما نجد أن قدماء المصريين قد دوّن معارفهم ومعلوماتهم في أوراق البردي ، منها بردية ايبزس التي كانت أكثر موضوعاتها في الطب الباطني والعقاقير الطبية " تعتبر هذه البردية من أهم البرديات الطبية في مجال الطب المصري القديم، حيث تعود إلى 1550ق.م تحتوي على 877 وصفة وما يقارب 400 عقاقير".[1]

و كتلخيص، فإن المصريين القدامى وإن كانوا قد مارسوا الطب وتطّبب على أسس علمية ومنهجية أحيانا، وتقدموا في ذلك بعض الشيء إلا أن ذلك العلم قد تتخلله بعض الطلاسم والتعويذات والسحر، ولعب فيه الكهنة دورا كبيرا.

المطلب الثاني: أخلاق الطبية عند البابليين

لقد شاع عن الطب البابلي القديم أنه يتخلله شيء من السحر والشعوذة وهذا ما كان معروف عندهم سابقا فالمرض عندهم هو عقابا إلهيا يأتي نتيجة الأفعال والذنوب التي ارتكبها المريض، لذلك نجد أنه لا يتم معاقبة الساحر أو الكاهن على أي خطأ قد يرتكبه في علاج مرضاه، وهذا راجع إلى العلاقة الوطيدة التي تربط الكاهن بالآلهة، وبينما في اتجاه الأخر يتم معاقبة الطبيب الجراح الذي يخطئ في علاجاته وجراحاته لأنه يعمل بيده لا بالقوة كهنوتية أو السحرية كما يفعل السحرة والكهنة.[2]

"فشريعة حمورابي تقوم على أن الجراح إذا ما استعمل مشرطه وأخطأ في استعماله تُقطع يده، وإذا تقاضى أكثر من ما يستحق يعاقب بالحبس".[3]

فنجد أن الطب البابلي اختلف عن الطب المصري القديم الذي سبقه، فتعليم الطب البابلي آن ذاك كان شفهيا، وكانت مدوناتهم الطبية موجودة على الألواح؛ كما أنه كانت لهم طريقة في بحث عن العلاج لمرضاهم حيث يقول في هذا الشأن هيرودوت* "أن البابليين

[1] _ صلاح سرور: الطب في مصادر الإغريق القديم،مصر، دار الحضري للطباعة، 2002، الإسكندرية، ص32.
[2] _ عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994،القاهرة، الطليعة، ص 26.
[3] _ عامر النجار: نفس مرجع، ص 26.

كانوا يعرضون مرضاهم في الساحات العامة خارج المدن وذلك لكي تتصل بهم المارة ويستفسرون منهم عن شكواهم، حتى إذا سبقت لأحدهم مثلها أرشد المصاب لاستعمال الوسائل نفسها طلبا للشفاء"[1]، بمعنى أنهم كانوا يخرجون مرضاهم إلى الساحات العمومية ليصف لهم الدواء كل من أصيب أو سمع بمرضهم، فالبابليون هم أول من قاموا بعملية الدمج بين التنجيم والطب حيث ضنوا أن للكواكب وأبراج أثر فعال في الولادة ووظائف الأعضاء، وكذا الأمراض وأسبابها وعلاجها، ونجد أن منهم أخذ العرب التنجيم ونقلوه إلى أوروبا[2].

كما استند الأطباء البابليون في تركهم لمعظم الكتابات العلمية التي تخص مجالهم الطبي عن طريق قوالب عليها نقوش العديد من النصوص الطبية كما عثر أيضا في مدينة لا جاش على خاتم لأحد الأطباء وذلك يعود إلى فترة 3000 سنة قبل الميلاد، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل عن وثيقة إثبات تثبت وجود علم الطب في الحضارة البابلية[3].

و كان لبلاد الرافدين تطبيق لثلاث مذاهب:[4]

1_ المعالجة بالنصح (الطب الوقائي): يتم ذلك عن طريق النصح والإرشاد والوقاية من الأمراض والأوبئة المنتشرة.

2_ المعالجة بتشخيص المرض: وذلك بوصف الأشياء الطبيعية كالأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية ومقصود هو الاعتماد على الطب المزاجي (الطبيعي).

المعالجة بالسحر والطلاسم(الطب النفسي): رفض الأطباء البابليون عملية العلاج أو تسكين الألم للمريض بالمسكرات ولجئوا إلى العلاج عن طريق "التسميد"، إلا أن هؤلاء

---

[1] _ احمد شوكت شطبي: العلوم الطبية لطلاب السنة التحضيرية في الكليات الطبية، الجمهورية السورية ووزارة التعليم العالي، (د،ط)، 2016، سوريا، ص 19.

(*) هيرودوت: 484-425 مؤرخ ورحالة يوناني ملقب بأبي التاريخ، زار العالم المعروف آنذاك لاسيما العراق وفينيقيا ومصر له تاريخ وهو أهم المراجع لمعرفة أحوال الأقدمين.

[2] _فيصل دبدب:"المشاهدات الطبية من أبقرط إلى الرازي"، مجلة مورد(العراق)،مجلد، عدد4، 1977، ص112.

[3] _رحاب خضر عكاوي: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _لبنان، ص38

[4] _عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، مرجع سابق، ص28.

الأطباء اعتمدوا على مادة الحشيش والأفيون لإجراء عملية التخضير للمريض عند إجرائهم العملية.

تقوم الأخلاق والمسؤولية الطبية عند البابليين على أسس ومبادئ ثابتة هي:

– إذا أخطأ الطبيب في كيفية علاج المريض أو تسبب له في خطأ طبي وجب عليه أن يطلب العفو والمعذرة من الآلهة.وكانوا في بابل يتشددون في معاملة الطبيب، وذلك راجع لمسؤوليته الصعبة فهو يحمل على عاتقه أرواح المرضى[1].

كما جاء في شريعة حمورابي التي تعد من أعظم الوثائق التي أمدتنا بمعلومات طبية هامة خاصة في مجال الجراحة، حيث يمكن تقسيم قوانين حمو رابي الخاصة بالطب إلى قسمين حيث أن هناك قسم من المواد يخص الجراحة وهذا ما نجده في مادة من 215 إلى مادة 223 ويتكلم في هذه المواد عن الأجور التي يستحقها الطبيب في كل عملية يجريها وكذلك القصاص الذي يتلقاه الجراح في حالة إخفاقه.[2] ويقول حمورابي في شريعته ما يلي:

المادة 215: إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة بسكين من البرونز لرجل وأنقذ حياته، فيحصل الطبيب على 10 تشكيل من الفضة أجره.

المادة 216: إذا كان طفل موشك ينوم فيحصل الطبيب على 5شيكل من الفضة.

المادة 217: إذا كان عبد رجل، فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب 2شيكل من الفضة.

المادة 218: إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل وسبب له ذلك موت الرجل وفتح خراجا بسكين برونزية لرجل وخرب عينه فعقوبته بتر يده.

المادة 219: إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته، فعليه أن يعوض عليه عبدا بعبد.

---

[1] _ طلال العجاج: مسؤولية المدنية للطبيب دراسة فقهية وقضائية مقارنة،عالم الكتاب الحديث، 2011،الأردن،ص17.

[2] توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب أسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م، الشرق الأدنى القديم "بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام"،دار دمشق، 1985، دمشق، ص219-220.

*" الموشك ينوم ": إن ربط الكلمة بالمعنى هو استخراج الكلمة من معنى التاريخ – وعلى ما يبدو تعني كلمة موشك ينوم(الفقير) لما له من براءة وزهد العابد المجرد من ملذات الدنيا. أما في العصر حمو رابي كانت تعني الموشك ينوم هو الشعب المغلوب على أمره ولا تربطه بالقصر ولا بالنخبة الممتازة ببلاط الملك أي رابط.

المادة 220: إذا فتح له خراجا بسكين وخرب له عينه، فعليه أن يزن نصف ثمنه فضة.

المادة 221: إذا أصلح طبيب عظما مكسورا لرجل وعالج له عصبا مريضا وتعافى، فعلى المريض أن يعطيه 10شيكل من الفضة.

المادة 222: إذا كان هذا ابن "موشك ينوم"* فعليه أن يعطي الطبيب 3شيكل الفضة.

المادة 223: إذا كان هذا عبد رجل فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب 3شيكل الفضة.

في حين تناولت المادتان 224 و 225 من قانون الطب البيطري:

المادة224: إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة لثور أو حمار وأنقذه، فعلى صاحب الثور أو الحمار، يعطيه أجره من الفضة، ما يعادل سدس ثمن الحيوان.

المادة 225: وإذا أجرى عملية جراحية كبيرة لثور أو حمار وسبب موته فعليه أن يعطي صاحب الثور أو الحمار ربع الثمن.[1]

"ويتضح دور المعتقد الديني والآلهة جليا في خاتمة القوانين، حيث يختتم حمو رابي قوانينه بمدح الملك العادل، ثم يؤكد على ضرورة أن يعمل الشعب بهذه القوانين، ويقد اللعنات على من لا يتقيدون بشريعته، وبعض هذه اللعنات الخاصة بالطب"[2].

المطلب الثالث: الأخلاق الطبية عند اليونان

تناول اليونانيون القدماء الطب كغيرهم من الأمم القديمة غير أنهم أتقنوه أكثر من غيرهم لما وهب لهم من استعداد فطري، فقد تمكنوا من ترتيب أبوابه وتحسين أساليبه والتخلص من معتقدات التي كانت تعرفها الحضارات السابقة، وعنهم أخذ الرومان والفرس هذا العلم الجليل.

يرى أهل اليونان القدماء والمؤرخون العرب أن الطب وقيامه يعود إلى "أسقلابيوس" الذي يعد إله العلاج عند الإغريق وتتلمذ على يد أستاذه المصري "هر مس العظيم " الذي يمثل

[1] _ نفس المرجع،220

[2] _ بالخير بقة: ارتباط الدين بالطب في حضارة بلاد الرافدين، ، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية، المجلد1، العدد2، 2013، جامعة ابن خلدون بتيارت ،ص245.

النبي إدريس عند المسلمين كما أنه عرف عن "سيشرون" سر الأعشاب المستخدمة في العلاج[1]، ولقد انقسم الطب في الحضارة اليونانية إلى مراحل أساسية هي:

مرحلة الطب اللاهوتي

مرحلة الطب الفلسفي

1/مرحلة الطب اللاهوتي:

في هذه المرحلة كانت الأمراض والعلاجات أمور غيبية, أي أن القوى العلوية هي التي تتحكم بجسم الإنسان، وظنوا أن الأمراض عبارة عن نوع من الأجسام السماوية يتساقط رمادها على الأرض فيعم البلاء والمرض لذا من المنطقي أن يقرن العلاج بالقوى العلوية أو آلهة، ومن الغريب أنهم كانوا يسمون هذه الآلهة بأسماء العلماء والأطباء ومن أشهر هذه الأسماء:

_(أيبولون Apollon): قالوا أمه أول حكيم تكلم في الطب وأول من استنبط حروف اللغة الإغريقية، جاء بعد موسى عليه السلام

_(هيجي HYGIE): معبودة اليونان، إلهة الصحة وقيل عنها أنها ابنة إله الطب.

_(بلوتو Pluton): اله الموت والمرض.

وكان العلاج في تلك الفترة بالدرجة الأولى نفسي، روحاني مع استخدام بعض الأدوية والعقاقير، ومن أشهر أطباء هذه المرحلة اسكولابيوس[2].

2/مرحلة الطب الفلسفي:

حاول العلماء في هذه المرحلة ربط الأحداث بالفلسفة وإيجاد علاقة بين الأحداث التي تحدث في مكان واحد أو في زمان واحد، ولما كان يصعب إثبات العلاقة فعليا كان لابد من محاولة إيجاد علاقة نظرية فلسفية, ومن النظريات التي إعتمدوها في هذه الفترة: [3]

[1] _ سامي خلف حماني: الطب والصيدلة، أمينة للمخطوطات في دار الكتب الوطنية الظاهرية، 1969، دمشق ، ص38.
[2] _ أحمد شوكت شطبي : مرجع سابق، ص64
[3] _ مرجع نفسه، ص67

نظرية العناصر الأربعة: حيث قالوا أن جميع الموجودات تتكون من أربعة عناصر أساسية هي الماء والهواء والتراب والنار.

نظرية الأخلاط الأربعة: مفادها أن جميع أعضاء الجسم تتكون من الأخلاط الأربعة المتمثلة في الدم الذي يأتي من القلب. البلغم الذي يأتي من الدماغ ثم ينتشر في جميع أنحاء الجسم. الصفراء والتي يفرزها الكبد. السوداء وتأتي من الطحال والمعدة؛ وقالوا أنه لإستقامة الجسم يجب أن يكون هناك توازن بين هذه العناصر والأخلاط، أما إذا اختل منها أي عنصر اختل الجسم وحدث المرض وبدؤوا يبحثون عن مكونات هذه العناصر في الطبيعة من الأعشاب ومحاولة استخدامها في العلاج، ومن أشهر أطباء هذه الفترة نجد أبقرط، أرسطو، أفلاطون.

ومن هنا نجد أن اليونانيون قد انتهجوا طريقين للعلاج، طريقة الأولى يعالج معظم المرضى بالسحر والكهنة فهم يعتقدون أن الأمراض التي تصيب المريض كلها من مصائب الشيطان ولا يمكن علاجها إلا بالرجوع إلى الآلهة، التي تعد مصدر للعلاج من عمل الشيطان.[1]

أما الطريقة الثانية فقد اعتمدوا فيها على العلم الطبيعي أي يلجأون إلى وصف العلاج بطرق طبيعية ومستحضرات طبية طبيعية، كالإعتماد على النباتات للشفاء من مختلف الأمراض[2]، ولهذا اتصف الطب عند اليونان بمذهبين هما :

الأول يعمل على شفاء المريض من دائه وذلك بغض النظر عن نوع المرض الذي يعانيه لأنهم يعتبرون أن جميع الأمراض متساوية وفي مرتبة واحدة.

أما المذهب الثاني فقد كانوا يهتمون بالتشخيص الوصفي وذلك لمعرفة نوع المرض، وكان ذلك هو إتجاه الفلاسفة.[3]

---

[1] _ راغب السر جاني: مرجع سابق، ص21.

[2] المرجع نفسه، ص38

[3] عمر فروج، تاريخ العلوم عند العرب، دار الملايين، (د،ط)، 1970، بيروت، لبنان، ص84.

***اسقليبيوس(صقلاب):** هو إله العلاج عند الإغريق، وتتلمذ على يد أستاذه المصري هرمس العظيم، فتعلم الكيمياء وتركيب الدواء، بينما تتحدث الأساطير عن كونه شخصية تاريخية برع هو ووالداه في العلاج، وأصبح له تلامذة وهم من سموه إله الشفاء، فعندما نما عددهم بنوا له المعابد في حوض متوسط ليأتوه الناس الراغبين في الشفاء، ولا يزال شعاره يستخدم إلى يومنا هذا كرمز طبي ويتمثل هذا الشعار في "أفعى تلتف على صولجان إسقليبيوس" فقد كانت الأفعى تعد

لم يبقى الطب اليوناني تحت نفوذ السحر والكهنة والمنتسبين لعائلة "صقلاب"* حيث كان التعليم عندهم بالمخاطبة، فلم يكن هناك كتب مدونة؛ أما إذا اضطروا للتدوين فكانوا يلجأون إلى الألغاز، حتى لا يفهم أحدٌ غيرهم المداواة وتشخيص الأمراض وتحضير الأدوية.[1]

ومن هنا انتقلت صناعة الطب من عند الطبيب اسكولاب إلى أحفاده الذين عرفوا بالاسكولابيين، ففي القرن الخامس قبل الميلاد ظهر الطب الفلسفي في بلاد اليونان وتشكلت مدرستان للطب في وقت واحد تقريبا هما (مدرسة كوس_ ومدرسة كنيدوس)، إذ اهتمت مدرسة كوس بعلم الأمراض العام.

أما مدرسة كنيدوس اهتمت بالأمراض الخاصة، وفي الحقبة الزمنية الممتدة من عام 460 إلى 139 ق.م. اشتهر رجل بين اليونانيين بصناعة الطب والعلوم وهو أبقراط، حيث نجد **(أبقراط 460-370 ق.م)**: الذي يُعتبر أول من بوب الطب ورتبه لذا سمي أبو الطب، وعاصر سقراط وأفلاطون وهيرودوتس وغيرهم من رجال عصر أثينا اللامع، فرغم انتمائه لعائلة صقلاب إلا أنه استطاع أن يخرج الطب من دائرته الضيقة وأن يتيح ممارسته لمن تتوافر فيه الصفات اللازمة للطبيب؛ بحيث يعود له الفضل الأول والأعظم في فصل الطب عن الفلسفة واللاهوت والسحر و وضعه على أساس العقل باعتبار المرض حادثاً طبيعيا، ولهذا وضع أبقراط قانون الآداب الطبية وقوانين ممارسة الطب.[2] فالصيدلة كعلم لم تبدأ إلا منذ ظهور أبقراط اليوناني **(Hippocrate)** وتعني الفارس الماهر، وهنالك سبعة أطباء يحملون اسم أبقراط و الأساسي منهم هو أبقراط الخامس الذي هو من سلالة آل اسكولاب صاحب أهم مجموعة من المؤلفات الطبية تدعى مجموعة الأبقراطية.

ذات قوة علاجية ومناعية. (رامي ضللي : تاريخ الطب وآدابه، الجمهورية العربية السورية وزارة التعليم العالي ، جامعة الشام الخاصة –كلية الطب البشري،2020، ص12.)

[1]_ أحمد شوكت الشطي: مرجع سابق، ص21.

[2]_ أمين أسعد خير الله، الطب العربي –مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به، المطبعة الأميركية،(ب،ط)، 1946، بيروت، لبنان، ص.19

وإن مما خلد أبقراط إنسانيته ومثاليته وحبه للناس وحثه للأطباء على إغاثة المرضى دون النظر إلى أي ربح مادي. فكانت وصيتة أن يلزم الطبيب بحسن الخلق والمعاملة الحسنة فقد أخد عليه عهداً ألا يقوم بأي عمل يمس شرف المهنة والضمير الحي[1]. وهو ما يعرف بقسم أبقراط (الذي سماه العرب: عهد أبقراط) حيث يقول:

"عهد أبقراط Hippocrate Aoth of The "

"إني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج، وأقسم بأسقلبيوس وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا على أنى أفي بهذه اليمين وهذا الشرط، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي، وأواسيه في معاشي، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلة من مالي وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لإخوتي وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط. وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة، أما غير هؤلاء فلا أفحل به ذلك وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى. وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور فأمنع منها بحسب رأيي، ولا أعطي إذا طلب مني دواءً قاتلاً ولا أشير بهذه مشورة وكذلك أيضا لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة تسقط الجنين، وان أحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة، ولا أشق أيضا عمن في مثانته حجارة لكن أترك ذلك إلي من كانت حرفته هذا العمل،وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى وأنا بحاجة خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود إليه في سائر الأشياء وفي تجمع النساء والرجال والأحرار والعبيد، وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات العلاج أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً، فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به، فمن أكمل

[1] _ رامي الضللي: تاريخ الطب وآدابه، جامعة الشام الخاصة كلية الطب البشري،(ب ن)، (ب،ط)، 2020،دمشق، ص15.

هذه اليمين ولم يفسد منها شيئا كان له أن يكمل تدابيره وصناعته على أفضل الأحوال وأحملها وأن يَحمده جميع الناس فيما يأتي من زمان دائما، ومن تجاوز ذلك كان بضده"[1].

[1]_ ابن أبي اصبيعة : كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الأول، عامر النجار ، دار المعارف، ط1، القاهرة 1996، ص205.

المبحث الثاني: تاريخ أخلاق الطب بعد الإسلام

المطلب الأول: الأخلاق الطب عند أبي بكر الرازي:

1-1/ حياة أبي بكر الرازي وأعماله : كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (865-926م) طبيب وفيلسوف إيراني كبير مشهور يعتبر من أشهر علماء العالم كما أنه كان موسوعيا من طراز فريد أحد أعظم رموز الطب في تاريخ التراث الإسلامي وأحد أكثر فلاسفته جدلا كما كتب الكيمياء والرياضيات وعلم الأخلاق والميتافيزيقا وعلم الفلك[1]، فهو في الحقيقة علامة عصره؛ حيث كانت مؤلفاته العديدة مرجعا للعلماء والدارسين خاصة في الطب، وظلت تلك المؤلفات تدرَّس في جامعات أوروبا على مدى قرون طويلة.

انحدر أبي بكر الرازي من مدينة فارسية تدعى الري قُرب مدينة طهران الحديثة ويذكر كتّاب سيرته بأنه أدار مستشفى هناك وواحدة أخرى في بغداد كما كان تحت رعاية حاكم الري أبو صلاح المنصور(توفي 914م) الذي أهدي إليه الرازي رسالته الطبية المعتبرة،**كتاب الطب المُهدى إلى المنصور**، نشأ الرازي محبا للعلم، مشهورا بالذكاء والفطنة، والهدوء والرزانة والرحمة والعدل، والنصح والعفة والإقلال من مماحكة الناس ومجاذبتهم، بالإضافة إلى بره بالفقراء والمرضى، وحسن تعهده للطلاب. وقد بلغت مؤلفات أبو بكر الرازي 146مصنفا:منها 116 كتابا، و30 رسالة وظل طوال حياته بين القراءة والتصنيف، حتى قيل أنه فقد بصره من كثرة القراءة ومن إجراء التجارب الكيميائية في المعمل وكان عالما طبيعيا يعتمد على البحث والاستقراء والتجربة والمشاهدة العلمية، بالإضافة إلى الرؤية العقلية والبصيرة الواعية وسعة الأفق، حيث نجد أن له عدة مصنفات حول علم الطبيعيات نذكر منها:كيفيات الأبصار، علة جذب حجر المغناطيس للحديد، الهيولى الكبيرة (المادة)، الهيولى المطلقة والجزئية، الخلاء والملاء(الزمان والمكان)ن هيئة العالم، سبب وقوف الأرض وسط الفلك، سبب نحرك الفلك على استدارة، شروط النظر.[2]

---

[1] _محمد زكريا بن أبي بكر الرازي: السيرة الفلسفية، بتصحيح ومقدمة بول كراوس، ترجمة عباس إقبال، مكتبة لسان العرب،(د،ن)،(د،ط)،1925م،ص9

[2] _ أحمد شوكت الشطي: مرجع سابق، ص205

1-2/ مؤلفات الرازي في أوروبا:

إن قيمة العلماء السابقين لا تقاس بما بقي لهم من أثر من نظرياتهم في العلم الحديث، بل تقاس بنسبتهم إلى زمانهم لمعرفة الدور الذي يلعبوه في تاريخ الفكر البشري، فالموازنة الصحيحة بين العلماء تحتاج إلى أن ينسب كل منهم إلى زمانه.

كتبت الباحثة الألمانية "**زيغريدهونكه**" في كتابها ***"شمس العرب تستطع على الغرب"*** تقول "في مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء، إلا ومد يده إلى الكنوز العربية هذه يغرف منها ما شاء أن يغرف ولم يكن هناك ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك، إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها إيحاءاته وظهر فيه تأثيرها واضحا كل الوضوح ليس فقط في كلماته العربية المترجمة بل حتى في محتواه وأفكاره"، فالكتب التي درسها الدارسون، واستند إليها الباحثون كانت كتب أبي بكر الرازي وأبي قاسم الزهراوي وابن سينا. فالرازي قد شاعت شهرته في عصره حتى وصف بأنه جالينوس العرب، وقيل عنه: كان الطب متفرقا فجمعه الرازي ولقيت بعض كتبه الطبية رواجا كبيرا وشهرة عظيمة، وانتقلت نظرياته العلمية إلى أوروبا، كما ترجم العديد من كتبه إلى اللغات الأوروبية، واعتمدت عليها جامعات أوروبا وظلت مرجعها الأول في الطب حتى القرن السابع عشر وهو أكبر الأطباء العصور الوسطى وإمام الطب العربي من غير منازع، لقب ب"جالينوس العرب" ن وترجمة أعماله إلى اللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية مرات عديدة، ويقال أن رسالته في الجذري والحصبة طبعت بالإنجليزية وحدها أربعين مرة بين أعوام 1498-1866م[1]، ومن أعظم وأشهر كتب الطبية التي دونها الرازي وانتقلت إلى أوروبا : الحاوي الذي يعتبر من الكتابات الهامة في مجال الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة، التي أثرت تأثيرا بالغا على الفكر العلمي في أوروبا وأول ترجمة له كانت على يد طبيب يهودي من صقلية فرج بن سليم بعنوان(Liber Dictus Elhavi) عام 1279م، وكذلك كتاب المنصوري وهو

[1] _ إبراهيم الهلالي: الأبعاد الفلسفية لأبي بكر الرازي في روحانية الطب، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد10، العدد2،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ، 2022م، تلمسان، الجزائر، ص172.

أصغر من الحاوي، ولكن قيمته عظيمة وكان أشهر من الحاويوجاءت أول طبعة له سنة 1481 بعنوان (Liber ad Almansorem)وغيرهم من مؤلفات القيمة.[1]

آداب الطب عند أبو بكر الرازي:

لم ينسى الرازي أن يكتب عن أخلاقيات مهنة الطب، حيث أنه لم يغفل على ضرورة الأخلاق التي عليها تبنى الحضارة، فهو يرى أن الطبيب إذا تجرد من الأخلاق الكريمة فأنه يصبح سفاحاً للدماء، فاضحًا للأعراض ولهذا يعتبر كتاب **أخلاق الطبيب** أول كتاب عربي يحاول وضع ميثاق شرف مهني للأطباء، ولقد عرض فيها الكثير من الأخلاقيات الطبية التي يرها الغير الدارسين والنابهين أنها من صنع العقل الطبي الغربي، مع العلم أن عالم الكيمياء الإنجليزي "**ستابلتون**" أعلن بعد دراسته للكيمياء الرازي أنه بقي بلا ند حتى بزوغ فجر العلم الحديث بأوروبا[2]، وأول ما ينبه الرازي إليه في رسالته هو العقد الأخلاقي القائم بين الطبيب ومرضاه الذين يعتادونه حيث قال " أحسن الظن بك ومن اختصك لنفسه واعتمد عليك من جعلك أمين روحه"[3]، فهو ينبه الطبيب على أن يقابل ثقة المريض فيه بمسؤولية، ومن الأخلاقيات التي يدعو الرازي الأطباء إلى التزامها هي مواكبة التطور والاكتشاف في مجالات تخصصهم من خلال مواصلة الدراسة والاطلاع على مستجدات الأدوية والأوبئة وهو ما تفرضه الآن مستشفيات المعاصرة على الأطباء المشتغلين به في شكل إلزامهم بحضور مؤتمرات سنوية في مجالات تخصصهم ومشاركة في البحوث وتقديم مشاركات علمية تخدم مجال، ويقول الرازي في هذه المسألة "فأول ما يجب عليك صيانة النفس عن الاشتغال باللهو والطرب، ومواظبة على تصفح الكتب"، كما يحرص الرازي على تنبيه الأطباء على أهمية الرفق وحفظ أسرار مرضاهم، لأنهم يكاشفونهم بما لا يكاشفون به أخص الناس بهم، ويقول في هذا الصدد"أعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقا بالناس،

[1] _ ماهر عبد القادر محمد علي: مقدمة في تاريخ الطب العربي، دار العلوم العربية، ط1، 1988، لبنان، ص81-82

[2] _ الشيخ أحمد البان: ميثاق شرف مهنة الطب لدى الإيمام الرازي، لمحة عن مقتطفات المميزة، إسلام أون لاين، http://www.islamonline.net.com تم الإطلاع يوم 2023/02/13.

[3] _ أبي بكر الرازي: رسالة أخلاق الطبيب، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، ، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة، مصر،1977، ص ص21-28.

حافظا لغيبهم، كتوما لأسرارهم، لا سيما أسرار مخدومة، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به مثل أبيه وأمه وولده، وإنما يكتمونا خواصهم ويفشونه إلى الطبيب ضرورةً"[1].

ويؤكد على ضرورة حفظ الطبيب لبصره عن عورات النساء، وأن الميثاق المهني يقتضي أن يطلق بصره متتبعا جمالهن، فإن ذلك إخلال بأخلاقيات المهنة الطبية، كما يرجع على الطبيب الذي يفعله بسوء عليه وعلى سمعته، ويستحسن ما قاله جالينوس من أنه" على الطبيب أن يكون مخلصا لله، وأن يغض طرفه عن النسوة ذوات الحسن والجمال، وأن يتجنب لمس شيء من أبدانهن، وإذا أراد علاجهن أن يقصد إلى موضع الذي فيه معنى علاجه، ويترك إجالة عينيه إلى سائر بدنها"؛ ويبدو أن هذه الظاهرة كانت موجودة بين بعض الأطباء في زمانه فقد حكي أنه رأى "من تعاطى النساء فكثرت فيه كلام الناس، فتجنبوه، ورفضوه، وحرم الدخول على الملوك وعلى الخاصة والعامة"، ولا يهمل الرازي الحديث عن واجب الناس نحو الطبيب، وما يلزمهم من إكبار مقامه ورفع منزله، وتطبيب نفسه بالكلام اللطيف الحسن، لأنه يقوم على صحتهم وإسعادهم، لأن "**المتطبب خادم الروح**" ولأن تكريم الطبيب يدفعه إلى **الإبداع** والتميز في مهنته المهمة والخطرة في وقت نفسه،ومن حق الطبيب على المريض أن يخبره بعلته، فإن كتمان المريض لبعض علته عن طبيبه خطر كبير على حياته، كما أنه من قواعد الصحة لدى الرازي اعتماد طبيب واحد[2]، لأنه بذلك يكون أعرف بحال مريضه وطبيعة بدنه و أسباب علته. ونبه إلى خطر وصف المريض الدواء لنفسه بناء على حالة المريض تشبه علتُه علتَه، لأن طبيعة الأبدان وخصائصها تختلف من شخص إلى شخص، فيحتاج إلى نزع بعض مكونات دواء لنفس العلة أو زيادة مكونات أخرى.[3]

[1] _ أبي بكر الرازي: المصدر نفسه، ص25
[2] _ الرازي: مصدر نفسه، ص 27.
[3] _ الرازي: مصدر نفسه:ص ص 30-38

ومن الأخلاقيات التي لا تليق بالطبيب حسب الرازي هي تكبر الطبيب على العامة والفقراء إذا وجد بغيته المالية في الخاصة والأغنياء، حيث قال"ينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء، ذلك أن من المتطببين من يتكبر على الناس، لا سيما إذا اختصه ملك أو

رئيس" كما على الطبيب أن لا يتكبر على الناس فعليه أن لا يعجب بما يحققه في مجاله من تميز بما يجريه الله على يديه من علاج الأمراض المستعصية، فأن "من المتطببين من غذى عالج مريض فبرأ على يديه، دخله عن ذلك عجبن وكان كلامه كلام الجبارين، فغدا كان كذلك فلا كان ولا وفق، ولا سدد".[1]

وقد تحدث الرازي عن المعاينة السريرية والحجز الطبي وأهميته الخاصة بعد إعطاء نوع من العلاجات يحتاج مفعوله إلى مراقبة مستمرة وهو في نظره المسهَّل و المقيئ، قال:"إذا أسقيته المسهل والمقيئ، فينبغي لك أن تلازمه لئلا يخطئ في الطعام والشراب".[2]

المطلب الثاني : أخلاق الطبية عند أبو قاسم الزهراوي

1/ حياة أبو قاسم الزهراوي وأعماله:أبو قاسم الزهراوي (427هـ_1036م) طبيب وجراح أندلسي، مولود بمدينة الزهراء قرب قرطبة بالأندلس، وهو من عباقرة وأعلام الحضارة العربية والإسلامية، وهو أول من أسس ومارس علم الجراحة العامة في العالم، ومن أوائل الذين أسهموا في تطوير علم وحرفة الصيدلة وعبقريته متعددة الجوانب فقد أحدث تغييرا جوهريا في "النظرة العلمية" وأسلوب العمل العلمي والطبي رابطا بين النظرية والتطبيق، كما طور فروعا من الجراحات الخاصة.[3]

2/ انجازات الزهراوي:

كانت فلسفة الزهراوي الطبية تقوم على أن الطبيب الماهر لا يكون طبيبا إلا بعد معرفته التامة، ودراسة وافية لعلم التشريح يقول:"لن صناعة الطب طويلة، وينبغي لصاحبها

[1]_ الرازي: مصدر نفسه، ص38.
[2]_ فيصل دبدوب: مرجع سابق، ص115.
[3]_ كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي،الجزء الثاني، كلية الطب ،، دار النضال لطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 1989، بغداد، ص161.

أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح... لأنه من لم يكن عالما بما ذكرنا من التشريح لم يخل أن يقع في خطأ يقتل الناس به"،وكان اهتمامه بعلم التشريع سببا في الفتح الكبير الذي تحقق على يديه في علم الجراحة فضلا عن اختراعاته للأدوات الجراحية، وكان من الغريب واللافت أن علم التشريح كان علما محتقرا من قبلهن فجاء الزهراوي ليبدد هذه الأوهام، وقد أكسبته العمليات الجراحية التي قام بها بنفسه على مدار نصف قرن أو أكثر خبرة كبيرة للغاية، دوّن الكثير منها في كتابه "التصريف" الذي ألفه على مدار نصف قرن أيضا، فكان الزهراوي أول من استخدم رسوم الأعضاء والهيكل العظمي في كتبه، وأول من رسم الآلات وبيّن طريقة استعمالها في المؤلفات الطبية، كما استخدم الزهراوي وسائل عالية لتعقيم الجروح بالشراب والزيت، أو بالخل والزيت، وكذلك بالكبريت ودّون طريقة تعقيم المريض في فصول وأبواب كثيرة من كتابه التصريف، فنرى في ذلك إرساء لقواعد تعقيم الجروح بالشراب الذي يحتوي على الكحول، وهو ما نستخدمه حتى الآن.[1]

3/ الزهراوي والفلسفة:

على الرغم من أن أبو قاسم الزهراوي كان عالما في عددا كبير من المجالات، إلا أن إهتمامه الرئيسي كان في الطب والفلسفة، وقد جاء نهجه الفلسفي من خلال محاولته تعزيز فكرة الوجود الإلهي ووضعها في نظام فلسفة، وفي هذا الصدد كانت أعماله الأكثر شهرة عن المخلوقات والأرواح. فمنهجه المسمى ب"**منهج القائل أبو قاسم الزهراوي في الفلسفة الإسلامية**" كان يرتكز هذا المنهج على فكرة المراقبة والدراسة والتحليل، وكان يعتقد أيضا أن الفلسفة يمكن أن تؤدي إلى الإيمان، وهو أمر يتماشى مع الإسلام وتعاليمه وكانت الأفكار الرئيسية لمنهجه تدور حول عدة موضوعات رئيسية، بما في ذلك نجد:**الخلق والوجود:** حيث تعتبر فكرة الخلق والوجودموضوعا رئيسيا في فلسفة الإسلام، وقد كرس القائل أبو قاسم الزهراوي الكثير من الوقت لفهم هذا الموضوع، وبعد دراسة مضنية وجد أن المخلوقات تأتي في الوجود بفضل الإرادة الإلهية وحدها.

[1] _ نفس المرجع،ص ص164-166

وحدة الوجود والإرادة الإلهية : تعتبر وحدة الوجود والإرادة الإلهية موضوعاً أخر بحث فيه الزهراوي. وكان يعتقد أن كل ما هو موجود يمكن أن يرجع إلى إرادة الله كما أنه يؤمن أيضا بوجود وحدة الوجود، حيث تَعْتَبِرُ الله وجوداً واحداً ومتماسكاً.

الفرق بين الحقائق العلمية والحقائق الدينية: حسب أبو قاسم الزهراوي كان يعتقد أن الحقائق العلمية والحقائق الدينية ليست وجهة نظر واحدة، فمن وجهة نظره يمكن التوصل إلى الحقائق العلمية بالإستناد على الدليل والبرهان،

أما الناحية الأخرى يرى أنه يتم الحصول على الحقائق الدينية من الخلال الوحي وتعاليم الدين.[1]

رغم أن منهج أبو قاسم الزهراوي في الفلسفة الإسلامية كان موضوع بحث واسع النطاق، إلا أنه ما زال يشكل نقطة انطلاق للعديد من الدراسات في الوقت الحالي، ولهذا يعتبر الزهراوي عالما عميق الفهم ، وقد وضع العديد من النظريات والأفكار واضحة في عدة مجالات.

3/ آداب الطب عند أبو قاسم الزهراوي: يذكر في تاريخ الطب قسم أبقراط على دوام تجسيدا لأخلاقيات الطبيب والتزامه بالعهد والميثاق، ويجئ أبو قاسم الزهراوي مثلا عالياً للطبيب المسلم الذي يضطلع بمسؤولياته الأخلاقية والعلمية فمقالته الجراحية أية بيّنة على هذا الالتزام الذي دعّمته كذلك توجيهات العقيدة الإسلامية، وجدير بالاهتمام حقا وعي الزهراوي بمشكلات مهنته ومخاطرها في زمانه، والتي لا يزال الكثير منها مثار جدل حتى يومنا هذا،حيث يقول في هذا الصدد" العمل باليد معدوم في زماننا حتى أنه كاد لينعدم أو يندثر أثره، إنما بقيت منه رسوم يسيرة في كتب الأوائل قد صفحته الأيدي وواقعة الخطأ والتشويش حتى استغلقت معاينة وبعدت فائدته... لقد صار هذا الفن معدوماً فإنني لم ألق فيه محسناً البتة... ويرجع السبب لذلك إلى أن صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها أن

[1] _ Mirit Azad: نبذة حول منهج القائل أبو قاسم في الفلسفة الإسلامية، مجلة المعارف،الجزائر،2023 الموقع https://www.a3erf.blog. يوم 2023/02/20.

يرتاد قبل ذلك، علم التشريح الذي وضعه جالينوس"[1]، ولهذا كانت الجراحة في أوروبا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر فرعا محتقرا في الطب، وليس أدل على ذلك من تكوين رابطة موحدة للحلاقين والجراحين في إنجلترا عام 1540م، حيث توصلت هذه الرابطة إلى اتفاق يحدد لكل فئة حقوقها وواجباتها بحيث يمتنع الجراحون عن ممارسة الحلاقة ويقتصر الحلاقون على خلع الضروس، دام هذا الحلف لمائتي عام حتى قرر الجراحون الانفصال لتكوين رابطة مستقلة عام 1745م وذلك بعد أن توالى ظهور طبعات(ابتداء من عام 1497_1778) من الترجمة اللاتينية للمقالة الثلاثين الخاتمة لموسوعة الزهراوي –الطبية والجراحية العظيمة–:"**في العمل باليد من الكيّ، والشق، والبط، والجبر، والخلع**".[2]

كما نجد أن من أخلاقيات المهنة الطبية عند الزهراوي: "**الزهراوي والقتل الرحيم**" : أحياناً ما نجد المريض يعاني مرارة المرض وفلا يستطيع تحمله ولهذا نجده يسعى وضع حد لهذا الألم، فهنا تكمن مدى مشروعية الطبيب لاستجابة رغبة مريضه أحيانا وأن يضع نهاية لحياته طالبا الراحة من عذاب ألم لا يطاق واحتمال تعرض الطبيب في ذلك لترغيب أو ترهيب، ومدى حدود السلطة التقديرية لطبيب في التعجيل بالموت أو ما يُعرف بالقتل الرحيم("**Euthanesia**) إذا اقتضت حالة المريض ذلك، ويكون هذا بالطبع بعد استفراغ الجهد في بذل أقصى التحري واستنفاد جميع وسائل العلاج الممكنة، ولهذا يبادر الزهراوي فينبه تلاميذه إلى ما يجب على الطبيب في هذا الشأن، خاصة والأمر أكثر إلحاحا بالنسبة للجراح دون غيره من الأطباء، فيقول في مقدمة الباب الثاني من مقالة الثلاثين:"ينبغي أن تعلموا يا بنّي أن هذا الباب يقصد الجراحة بأنواعها فيه من الغرر فوق ما في الباب الأول في الكي، ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون التحذير فيه أشد، لأن العمل في هذا الباب كثيرا ما يقع فيه الإستفراغ من الدم الذي بيه تقوم الحياة، عند فتح عرق أو شق على ورم أو بط خراج أو علاج جراحة، أو إخراج سهم، أو شق على حصاة، ونجو ذلك مما يصحب كلها

[1] _ناصر أحمد سنه: الزهراوي وأخلاقيات الطب والجراحة، مجلة الوعي الإسلامي، دار حراء،2019/10/29، القاهرة، مصر، الموقع: .http://hiragate.com يوم 20/ 2023/02.

[2] _ المرجع نفسه

الغرر والخوف ويقع في أكثرها الموت، و أنا أوصيكم عن الوقوع فيما فيه الشبهة عليكم، فأنه قد يقع إليكم في هذه الصناعة ضروب من الناس يضجرون من الأسقام، فمنهم من قد ضجر بمرضه فهان عليه الموت لشدة ما يجد من سقمه، وطول بليتهن وبالمرض من التعذر ما يدل على الموت. ومنهم من يبذل لكم ماله ويغنيكم به رجاء الصحة، ومرضه قتال فلا ينبغي لكم أن تساعدوا من هذه صفته البتة، وليكن حذركم أشد من رغبتكم وحرصكم، ولا تقدموا على شيء من ذلك إلا بعد علم ويقين يصح عندكم بما يصير إليه العاقبة المحمودة، واستعملوا في جميع علاج مرضاكم تقدمة المعرفة والإنذار بما تؤول إليه

السلامة فإن لكم في ذلك عونا على اكتساب الثناء والمجد والذكر والحمد، ألهمكم الله يا بنّي الرشد ولا حرمكم الصواب والتوفيق، إن ذلك بيده لا إله إلا هو".[1]

كما يدعو الزهراوي كما يدعو الزهراوي إلى الضرورة تشجيع النساء على تعلم مهنة الطب و تخصص فيها، كما تظهر فيها قيمة فضيلة"الحياء" المقترنة بالرفق الذي ينبغي أن يتجلى به الطبيب ففي إخراج الحصاة للنساء الذي يعتبر باب لم يسبقه فيه أحد، حيث يقول: "قليلا ما يتولد الحصى في النساء فإن عرض لأحد منهن حصاة فإنه ينبغي علاجها، ويمتنع لوجوه كثيرة، أحدها أن المرأة ربما كانت بكرًا ، والثانية أنك لا تجد امرأة تبيح نفسها لطبيب إذا كانت عفيفة أو من ذوي محارم الطبيب، والثالثة أنك لا تجد امرأة تحسن هذه الصناعة ولا سيما العمل باليد، والرابعة أن موضع الشق على حصاة في النساء بعيد من موضع الحصاة فيحتاج إلى شق مغاير وذلك خطر، فإن دعت الضرورة غلى ذلك فينبغي أن تتخذ امرأة طبيبة محسنة، وقليلا ما توجد فإن عدمتها فاطلب طبيبا عفيفا رفيقا، وتحضر معه امرأة قابلة محسنة في أمر النساء أو امرأة تشير في هذه الصناعة بعض الإشارة فتحضرها وتأمرها أن تصنع جميع ما تأمرها..."[2]

ثمة صلة بين العلم من حيث هو نشاط معرفي له طبيعة تخصه وبين نسق القيم التي يتم التحلي بها المجتمعات وفقا لمعايير نفعَّية أو ثوابت دينية، لذا نرى الزهراوي يشير إلى

[1] _ الزهراوي رسالة العمل باليد ، مقدمة الباب الثاني، دار الثقافة والنشر والتوزيع، (د،ط)، 2000، القاهرة، ص167.
[2] _ناصر أحمد سنه: المرجع سابق

أهمية التفرقة بين النشاط العلمي المعرفي في ذاته – فهو بطبيعته خارج دائرة التحليل والتحريم– وبين تطبيقه العملي من أجل السيطرة والتسخير وحل المشكلات إما سلبا أو إيجابا، فيقف الزهراوي هنا موقفا واضحا تماما فلا مصادرة على العلم لحساب الدين ولا خلط بينهما يؤدي إلى ضرر محقق، ولا صدام يفتقد بالطبع إلى أي مشروعية عقلية أو دينية.[1]

المطلب الثالث: الأخلاق الطبية عند ابن سينا

1/ حياة ابن سينا: هو أبو الحسين بن عبد الله بن سينا ولد حوالي عام(980م وتوفي سنة1037م) كان صيرفيا من "بلخ" يعتبر من أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه من أعلام تاريخ العلم العالمي، ومن أثار ابن سينا العلوم الإلهية، العلم النظرية، العلوم العلمية، أشهر كتبه قانون في الطب يعتبر دائرة معارفه، من مؤلفاته كتاب الأدوية القلبية، رسالة في سياسة البدن، كتاب الفولنج، وقد أقام مذهبا في الوحدانية في محاولة تركيبية للتأليف بين مبادئ الإسلام وتعاليم أفلاطون وأرسطو أو بين الفلسفة والدين.[2]

2/ أهم انجازات ابن سينا في الطب:

بدأ يدرس الطب وهو في سن السادس عشر ثم درس الفلسفة وطبيعيات والرياضيات والشريعة وأتقنها، كما كان له منهجه الخاص في التشخيص ومعالجته لمرضاه على غرار الطريقة الحديثة المتبعة الآن وهي الاستدلال بأشياء معينة، كما كان يُولي الحالة النفسية للمريض واضطراباته العصبية عناية خاصة، لإيمانه بالتلازم المتبادل بين النفس والبدن ومن إنجازاته في الطب نذكر ثلاث مجالات رئيسية: الطب العام والجراحة كان لابن سينا في هذا المجال إنجازات كثيرة منها الوصف الدقيق لالتهاب السحائي وتمييزه بين الشلل الناتج عن سبب داخلي في الدماغ أو ذلك الناشئ عن سبب خارجي وغيرها من تشخيصات كالسكة المخية (الدماغية) وكذلك دراسة أمراض الجهاز الهضمي ووصف الدقيق لبعض أمراض النساء، وأما مجال الطب النفسي نجد أن ابن سينا درس مؤلفات الرازي خاصة موضوع الاضطرابات العصبية وتأثير الحالة النفسية على المريض، وعرف من مؤلفات الرازي بعض

[1] _ المرجع نفسه.

[2] _ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في تاريخ الأطباء، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ص84.

الحقائق النفسية وأن من عوامل النفسية والعقلية الحزن والخوف والقلق والفرح وغيرها. وقد اهتم بالأساليب النفسية في علاج مرضاه، وكذا مجال التأليف الطبي.[1]

3/ فلسفة ابن سينا: ربط ابن سينا الفلسفة بالدين، فقام بتقبل بعض الأفكار الفلسفية السابقة ورفض البعض الأخر، فمثلا قام بشرح مفهوم النبالة الأفلاطونية للانبعاث، لكنه بالمقابل رفض بعض الأفكار الأفلاطونية الحديثة الأخرى مثل الوجود المسبق للروح ، وقام

باستخدام منطق الأرسطي لتطوير حججه، كما كتب ابن سينا على نطاق واسع عن الفلسفة الإسلامية المبكرة لاسيما في موضوعات المنطق والأخلاق، والميتافيزيقيا بما في ذلك الأطروحات المسماة المنطق والميتافيزيقيا. معظم أعماله كانت مكتوبة باللغة العربية التي كانت لغة العلم في الشرق الأوسط وبعضها باللغة الفارسية. كما تمثلت آراء الفلسفية لابن سينا في الوجود، حيث يلخص ابن سينا العلاقة بين الوجود والماهية لكل من الواجب والممكن، كما تمثلت آراءه الفلسفية في المعرفة حيث أن المعرفة عنده يتمثل مبدؤها في الإدراك الحسي الظاهر بوسائله ، لكن هذا الإدراك غير كاف لإعطاء صورة كاملة عن الموجودات الخارجية المختلفة.[2]

4/ آداب مهنة الطب عند ابن سينا:

الصدق: يوجد رابط قوي ووثيق الذي بدوره يربط بين الطبيب والمريض، وهو ما يسمى بعلاقة المريض بالطبيب المشرف على حالته، وذلك في جميع تعاملاته اليومية ومع كافة مرضاه دون تمييز أحد عن أخر؛ بمعنى أنه لنجاح أي طبيب يجب أن يتحلى أولا بصفة الصدق وأن يبني علاقة وطيدة بينه وبين المريض بهدف الوصول إلى النجاح الأسمى وهو معالجة داء ذلك المريض، فالطبيب يعتبر قدوة وعنصر أساسي في الصحة فهو جوهرة المجتمع وقدرة موصوفة بكونه يحمل معارف جما ويرتقي إلى درجة الحكماء والعلماء وبالتالي لا يليق أن تنطبق عليه صفة الكذب أو الكذابين، والقصد من هذا أنه يجب على

[1] _أبي علي الحسين ابن سينا: القانون في الطب،الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ط1، 1999، بيروت، لبنان، ص190.
[2] _ رفاء عبد اللطيف حسن، فلسفة ابن سينا ودوره في التربية، كلية التربية للبنات، الجزء الثاني، العدد الثالث عشر،2020،ص163.

من وصل إلى هذا المنصب العلمي وجب عليه التحلي بالصدق خاصة في عمله هذا[1]،كما توجد هنالك صفات أخرى يتوجب على الطبيب أن يعمل بها تمثل في: أن لا يخفي على مريضه شيء بمعنى يجب مصارحة المريض مهما كان مرضه مع العمل على توجيهيه، كما عليه أن يبذل جهده في تشخيص المريض، أي يجب على الطبيب العمل بكل جهد من أجل اكتشاف داء المريض والعمل على شفائه أو كيفية علاجه، ووجب عليه أن لا يكلف مريضه

فوق مجهوده أو يقدم له تكاليف فوق طاقته، كإجراء فحوصات باهظة الثمن وتكون غير لازمة أو مشروطة، وعليه وصف العلاج دون زيادة أو نقصان.[2]

_ الحذق: الطبيب الحاذق هو الذي يستطيع أن يؤدي واجبه على أتم وجه، فيكون خطؤه أقل، كما أن هذه الصفة تعطي للمريض الثقة الكاملة في طبيبه واستفادة منه ومن خبراته تكون أتم ومنفعته أعم، كل هذه تسهل على الطبيب كيفية علاجه، كما أنه يسهل على المريض الالتزام بنصائحه، والعمل بتوجيهاته، وهذه الصفات قامة بتطبيقها والتحدث عنها ابن سينا.[3] ومن آداب مهنة الطب عند ابن سينا نجد:

_الوقاية: يعرف الجميع ويردد المقولة ***"الوقاية خير من العلاج"*** أما ابن سينا فيقول في هذا الصدد "... هذا التدبير هو حفظ الصحة على المرض وحفظ الصحة أولى بأن يتقدم ذكره لأنه أجل من مداواة المرضى وأعظم نفعا إذا كان الغرض المقصود إليه صناعة الطب هو حفظ الصحة"، ومن خلال هذا نلاحظ أن يعير أهمية كبرى للوقاية بل يقدمها على الجانب العلاجي معتبرا الطب علم يعرف منه البدن الإنسان من جهة وما يصح ويزول عنه لتحفظ الصحة حاصلة وتسترد حيث يقول "إن حفظ الصحة أجل من معالجة المرض لأن

[1] _ حنان ساري، عبد العزيز برغوث، الممارسة الطبية في ضوء منظومة مقاصد الشريعة الإسلامية، كلية المعارف الوحي والعلوم الإنسانية، مجلد 17، العدد2، 2018، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا، ص 369.

[2] _ يوسف محمد طردة، المسؤولية الجنائية على عمل الطبيب في الفقه الإسلامي، ماجستير في القضاء الشرعي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي 2011م، جامعة جليل، ص20.

[3] _ جعفر مرتضى العاملي، الآداب الطبية في الإسلام مع لمحة عن تاريخ الطب، ممؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين في الجوزة العالمية ، 1983، قم المقدسة-، ص113.

الصحة في الأصحاء موجودة وفي المرضى معدومة، وحرز الشيء الموجود أجل من طلب الشيء المفقود..."[1]

_وصايا الصحة: يقول ابن سينا و أبو المؤيد الجزري:

اسمع جميع وصيتي واعمل بها ***الطب مجموع بنظم كلامي

أقلل جماعك ما استطعت فإنه ***ماء الحياة تصب في الأرحام

و اجعل غداءك كل يوم مرة *** واحذر طعاما قبل هضم طعام

لا تحقر المرض اليسير فإنه *** كالنار تصبح وهي ذا ضرام

[1] _فريدة أولمو: أخلاقيات الطب عند ابن سينا، مجلة الدراسات إنسانية واجتماعية، ، المجلد10، العدد2، 2021، جامعة وهران2، ص156.

المبحث الثالث: الرازي بين الفلسفة و الطب

المطلب الأول: معالم فلسفة الرازي

1/ المبادئ الأزلية الخمس (ميتافيزيقا):

كتب الرازي وبحث في ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا في كتابه "العلم الإلهي" التي تميز بشكل أساسي فلسفته، حيث أنها نزلت إلينا من القطع التي جمعها بول كراوس، التي تهتم بدراسة طبيعة الوجود وأساسه والعالم الذي يحتويه، وقد تبنى الرازي وجهات نظر جريئة جدا في هذا المجال وذلك من خلال نظريته في المكونات الخمسة، حيث اعتقد الرازي بوجود خمس مكونات أبدية وهي (الله والروح العالمية، والمادة الأولية، والفضاء المطلق، والزمن المطلق)، حيث أن هذه الخمسة أشياء هي التي أسس عليها الرازي عقيدته، حيث أنها ضرورية لشرح وجود العالم.[1]

الإله: بالنسبة لوجهة نظره الفلسفية يرى الرازي أن الإله لم يخلق الكون من العدم إنما أعاد ترتيب الكون من المكونات الأربعة الأخرى التي وجدة بصورة مسبقة، حيث يقول الرازي" الباري تعالى تام الحكمة، ولا يلحقه سهو، ولا غفلة وتفيض منه الروح كفيض النور، وهو قديم لوجوب انتهاء الممكنات إلى مؤثر واجب الوجود ذاته، وذلك الواجب لا يجوز أن يكون حادثا وإلا افتقر إلى محدث، والكلام فيه كما الأول، فيلزم التسلسل ن وهو محال"

الروح (النفس): والروح عند الرازي تمثل الطابع الروحي للكون كما أنها مصدر الحياة في الأجسام، إلا أن وظيفتها الأساسية في فلسفة الرازي هي تبسيط نظرية العدالة إلهية الفارقة حيث يقول الرازي إن الله يعمد إلى إعادة تشكيل تلك الروح ومنحها خصائص فيزيائية بما يتناسب مع رغبته، وحالما يتم إعادة تشكيل الروح فإن الله يمنحها بعد ذلك القدرة على

[1] _ OkbaDjenane :le Corps Souffrant au Regard De la Philosophie Médicale Chez Al- RAZI (865-925) « essai intégrant la Philosophie la médecine et le spirituel », Université Paris 8-Vincennes- Saint demis, 2010 , pp52-53

التفكير لتجد طريقها نحو العبودية والحرية وتكون قادرة على إدراك المبادئ الأربعة الأخرى أي الله والفضاء والوقت والمادة.[1]

المادة: تتكون هذه المادة أو **الهيولى** بصفة أدق من الذرات، وكل ذرة لها حجم معين حيث أنه إذا لم يتم جمعهم لا يمكن تشكيل أي شيء، فالهيولى موجودة منذ الأبد، لأنه من المستحيل الاعتراف بأن الشيء يأتي من لا شيء. فما هو أكثر إحكاما يصبح جوهر الأرض أي التراب ، وما هو أكثر تخلخلا من مادة الأرض يصبح مادة الماء، وما يزال أكثر تخلخلا يصبح مادة الهواء، وما زال أكثر وأكثر مخلخلا يصبح مادة النار، فمن خلال هذه المواد تتشكل لنا مجموعة من العناصر متمثل في "التراب الماء الهواء والنار" فالرازي هنا أخذ هذه المكونات من فلاسفة اليونان، ويعطي الرازي دليلين لإثبات خلود المادة وهما أولا الخلق الواضح يجب أن يكون هناك خالقها، فالمخلوق ما هو إلا مادة مشكلة لذلك نجد أن أسبقية الخالق هي أولى، وليست أسبقية المخلوق. أما الدليل الثاني يقوم على إستحالة الإبداع من العدم بمعنى صنع الشيء من لا شيء، كما يضيف الرازي، إذا لم يكن هناك شيء في العالم إلا وهو من شيء أخر، فمن الضروري أن تكون الطبيعة مصنوعة من المادة.[2]

الفضاء: فكما أثبتنا أن المادة أبدية، فلا بد من المادة أن تحتل الفضاء إذا فهنالك مساحة أبدية، لهذا نجد أن الرازي يميز بين نوعين من الفضاء: عالمي أو مطلق، وخاص أو نسبي، الأول لانهائي ولا يعتمد على العالم والأشياء المكانية الموجودة، فالفضاء هو المكان الذي لا توجد فيه المادة[3]، يقول الرازي " أن الشيء المكاني لا يمكن أن يوجد بدون مساحة، على الرغم من أن الفضاء قد يوجد بدون أشياء مكانية... الفضاء ليس سوى وعاء لأشياء المكانية، ما يحتوي على الاثنين هو إما جسد أو بدن، إذا كان جسدا فلا بد أنه في الفضاء

[1] _ عبد الله محمد كريم: الآراء الفلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي،مجلة كركوك كلية لدراسات الإنسانية، جامعة السليمانية/ كلية العلوم الإسلامية، المجلد 14، العدد2، 2019، العراق، ص397.

[2] _: أبي بكر الرازي: **الطب الروحاني لأبي بكر الرازي**، تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، ، (د،ط)، 1987، مصر، ص11.

[3] _ OkbaDjenane :le Corps Souffrant au Regard De la Philosophie Médicale Chez Al-RAZI(865-925)p55 .

وخارجه يوجد مساحة، إذا لم يكن هناك فضاء فهو جسم ومحدود، وإذا لم يكن الجسد فهو فضاء، لذلك الفضاء لانهائي، فإذا قال أحدهم أن الفضاء مطلق له نهاية فهذا يعني أن حدوده هي الجسم، نظرا لأن كل جسم محدود ، وكل جسم في الفضاء فإن الفضاء لانهائي وما هو لا نهائي فهو أبدي"[1]،

الزمن: أما هذا المكون الأخير فهو حسب الرازي أبدي وهي مادة تتدفق أو إن أصح القول يعتبر جوهر يجري، وهنا نلاحظ أن الرازي جاء ضد فكرة أرسطو وأتباعه الذين يتظاهرون بأن الوقت هو عدد حركات الجسم لأنه لو كان الأمر كذلك، لما كان ممكن أن يتحرك شيئين متحركين في وقت واحد برقمين مختلفين، كما يميز الرازي نوعين من الوقت : الوقت المطلق والوقت المحصور، الوقت المطلق هو مدة أنه ابدي ومتحرك، أما الوقت المحدود فهو حركة الأفلاك والشمس والنجوم.[2]

لقد تأثر الرازي في صياغة هذه المبادئ الخمس بالنموذج الأفلاطوني، إلا أن صاغه بصياغة تتناسب مع الذرية الأبيقورية، فجعل كل منها ذاتي وجودي. "والوجود "الزمان والمكان والمادة والله والروح" المادئ الثلاثة الأولى يُفهمها بمصطلحات ذرية وفقا لمذهب الطبيعة الأبيقورية، والاثنان الأخيران كما أشرنا سابقا يشكلان خروجا جذريا عن هذا النموذج في قلب هذه الانطولوجيا الغربية تكمن أسطورة الرازي عن "سقوط الروح"[3]

2/ الفلسفة والدين :

كما كان الرازي فيلسوفا معروفا وله اهتمام بالعلوم العقلية، فهو يدعو العلماء وخاصة الأطباء إلى الأخذ من العلوم الطبيعية ودراسة العلوم الفلسفية والقوانين المنطقية، ويرى أن إغفال تلك العلوم يزري بالعلماء؛ واختلف الرازي مع المشاءين المسلمين في إمكان التوفيق بين **الفلسفة والدين**، وتأثر بآراء "سقراط" واتبع "أرسطو" في الكثير من أفكاره وآرائه، كما رد

[1] _ الطب الروحاني، مصدر سابق، ص12

[2] _ OkbaDjenane :le Corps Souffrant au Regard De la Philosophie Médicale Chez Al- RAZI (865-925) p55

[3] _Peter Groff, « leaving The Garden : Al-Razi and Nietzsche as waywardEpicureans »,Philosophy East and West, Vol 64, No4, 2014, PP 93-94.

في كتاباته على بعض متكلمين المعتزلة مثل "**الجاحظ**" و"**أبي قاسم البلخي**"، وكثير ممن حاولوا إدخال البراهين العلمية في الدين.

بالرغم من الاتجاه العلمي للرازي والنزعة العقلية له والتي تحكم أسلوب تفكيره ونظره إلى الحقائق الأمور ومشاهدات العلوم، فإنه رفض إقحام تلك النزعة على أمور الدين؛ لأن العقل البشري يقصر عن أمور كثيرة في الكون، ومن الخطأ تحكيمه مطلقا في أمور الدين، وقد أثار ذلك حفيظة الكثير من العلماء ضده حتى رموه بالكفر واتهموه في دينه، حسدا منهم وغيرة بعدما بلغ مكانة لدى العامة والخاصة.[1]

قرر الرازي أن فلسفة هي التشبه بالله عز وجل يقدر طاقة الإنسان، وهي الطريق الموصل للحق والسبيل الأمثل لإصلاح الفرد والمجتمع، فكان عليها أن تنزل على الواقع لإثرائه، وتحتاج الفلسفة إلى العقل والفطنة، ويرى الرازي أن الفيلسوف الحق هو من عرف شروط البرهان وقوانينه، وأن يبلغ من العلم الإلهي والرياضي والطبيعي أقصى ما في وسعه، فالفلسفة هي طريق الخلاص من عالم الكون والفساد إلى عالم الراحة والنعيم، وقد هلك العوام لعدم إدراكهم لهذا العلاج.[2]

المطلب الثاني: مجهودات الرازي الطبية والعلمية

1 / اهتمام الرازي بالملاحظات السريرية:

اهتم الرازي اهتماما بالغا بتدوين الملاحظات السريرية الخاصة بمرضاه، فاهتم بمعرفة سير المرض ودراسة أحوال مريضه في نومه وحياته وصحيانه ومزاجه وعمره وصناعته والأمراض الوراثية في عائلته وأحول أسرته الاجتماعية والاقتصادية وعادات المريض في التغذية وأنواع الأطعمة التي يتناولها باستمرار وكان يقول:" استخراج سبب الوجع من التدبير والسن والزمان والمزاج" ويقول أيضا "من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه في علاج الأمراض

[1] _ أبي بكر الرازي أبو العربي والعالم الموسوعي،لمحة عن مقتطفات المميزة، إسلام أون لاين، http://www.islamonline.net.com تم الإطلاع يوم 2023/02/27.

[2] _ أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، مصدر سابق، ص29-30.

بعد المعرفة الكاملة لصناعة حسن مسألة العليل وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله"[1]:

2 / **اهتمامه بالجانب التجريبي** ينقسم هذا الجانب حسب الرازي إلى فروع نذكرها

التجربة:

تمثلت **قيمة التجربة** عند الرازي في أنه لا يمكن الإستغناء عنها فهي واجبة لأنها إصلاح للإنسان لأنها اجتهاد ونظر وأول طريق من أجل معرفة الحقيقة، وقوام التجربة يكون في الإخلاص والعقل فهما أساس كل عمل.

ونجد أن التجربة في الطب صعبة جدا ولكنها واجبة فالطبيب الممارس أفضل عنده ممن عرف الطب عن طريق الكتب فقط فيقول الرازي "**إن من قرأ الكتب ثم زاول المرض يستفيد من التجربة كثيرا**".

كما أنها تتعلق بحياة الإنسان التي يجب احترامها، فلا يصح التجربة في المريض نفسه فإذا حاول الطبيب القيام بالتجربة شيءٍ ما وهو دون ديريه فقد يوصل المريض ونفسه للهلاك.

وإن خير ما تنتجه التجربة هي القوانين التي تُمكن الإنسان من السيطرة على عناصر الكون، بمعنى أنها تعينه على الابتكار والتجديد؛ فتتجدد الحياة ويتحقق جزء من السعادة الإنسان.[2]

الجراحة:

أما بالنسبة للجراحة فنجد أن الرازي قد راعى حرمة الإنسان وتعاليم دينه الإسلامي، ولعل الرازي هو أول طبيب في العالم يستخدم منهج التجريبي وذلك من خلال إجراء تجاربه على الحيوانات وخاصة القرود، لاختبار طرق العلاج الجديدة قبل أن يجريها على الإنسان، وكان يجرب أحيانا بعض المواد والأحماض والعقاقير على نفسه فيقول "**جربت في نفسي ورأيت**

[1]_ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ، المصدر السابق، ص 74.
[2]_ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ، المصدر السابق، ص77-78.

أن أجود ما يكون أن ساعة ما يحس الإنسان بزوال اللهاة (ويقصد الزور واللوزتين). أن يتغرغر بالخل حامض قابض عدة مرات".

فوصف العديد من الدواء المتعلق بمرضه، والرازي يعتبر أول من ميز وعرف مرض حصب الحنجرة، وأوجب الفصد في بعض الأمراض الصعبة، وإذا نظرنا إليه وإلى أعماله فنجد أنه قد استفاد كثير من تجارب السابقين خاصة تشريح جالينوس.[1]

2/اهتمام الرازي بالجانب النفسي:

كان الرازي من بين الأطباء الذين يهتمون بالأحوال النفسية للمريض، وكان يرى أن بعض الأمراض الباطنية تكون ناتجة بالدرجة الأولى عن أسباب نفسية فيقول " قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب وكثرة إخراج الدم والجماع والهموم النفسية".[2]

فالنفس لها شأن أساسي بينها وبين البدن؛ فكل ما يجري في النفس من خواطر وهواجس وهموم، وما تلاقيه من آلام ومآس، كله يطفو على السطح من خلال الملامح الظاهرة فتعكس على المريض صورة تبين لطبيب أعراض المرض، ولهذا نجد الرازي ينادي بأنه من الضروري على طبيب الجسم أن يهتم بالجانب النفسي للمريض ولهذا قام بتأليف كتابه (الطب الروحاني) الذي يهدف من وراءه إلى إصلاح النفس.

المطلب الثالث: فلسفة الطب والأخلاق الطبية

يكمن موضوع **علم الطب** في تشخيص مرض المريض، وذلك بعد ملاحظة أعراض المرض عليه ومحاولة إكتشاف الدواء الذي يشفيه من ذلك المرض، وهذا ما لاحظناه في ملاحظات السريرية لأبي بكر الرازي، فمن خلال هذا تشخيص يجعلنا نضع تعريف للطب على أنه فن أو صنعة، لكن في واقع الأمر أن الطب علم وتطبيق معاً، فهو علم نظري كسائر العلوم الطبيعية له موضوعه ومنهجه وقوانينه ونظرياته عن المرض والصحة والعلاج، كما أنه يحاول فهم الناس من أجل أن يغيره، وكدليل على أن الطب علم نظري هو

[1] مصدر نفسه، ص78.

[2] _أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، المصدر السابق، ص64.

ارتباطه بكثير من العلوم النظرية مثل الفيزياء في إستعانته بأشعة الليزر والنشاط الإشعاعي في معداته التكنولوجية، وكذلك مثل الكيمياء والكيمياء الحيوية والتشريح، لكن أكثر العلوم ارتباطا بالطب هو علم الأحياء (البيولوجيا)، ومن البديهي أن الطب ليس مجرد علم نظري، وإنما هو أيضا علم تطبيقي بحيث أنه مجموعة من الأساليب التقنية لتشخيص الأمراض وعلاجها بوصف الأدوية المناسبة أو الجراحات الضرورية، وأساليب الرعاية الصحية، وتغلب على الأمراض ومساعدة المريض من أجل الشفاء ، ولهذا فمنهج الطبيب في التشخيص استقرائي(induction).[1]

فلسفة الطب:

المقصود بها هي محاولة تحديد معنى الكلمات في بدايتها مألوفة ومفهومة لدى الطبيب و المريض لكن بمجرد الإطلاع عليها والبدء في تعريفها، سيجد أن هذه الكلمات شديدة الغموض ومن الصعب تعريفها، ومن أمثال هذه الكلمات نجد الصحة والمرض أي ما معيار الحكم على الشخص أنه مريض أو يتمتع بصحة جيدة، بمعنى أنه كيف يمكننا معرفة أن الإنسان مريضٌ أو يتمتع بالصحة الجيدة والخالية من العلل، كما نجد أن فلسفة الطب تهتم بموضوع الأخلاق والمقصود بالأخلاق هي ليست إقامة نظريات أخلاقية كما كان يفعل الفلاسفة التقليديون، وإنما هي مبحث أخلاقيات المهنة، وتسمى أيضا الأخلاق الطبية (medical ethics)، ويسمونها بالأخلاق البيولوجيا (Bioethics)، ويتناول هذه المبحث مجموعة من الأفكار التي توجه الطبيب وهو يعالج المريض والعلاقة التي يجب أن تكون موجودة بين الطبيب والمريض في فترة العلاج[2].

ولهذا نجد أن الأخلاق الطبية جزء من فلسفة الطب بحيث أنها تبحث عن القيم الأخلاقية لكل من الطبيب والمريض، وما الأفكار التي يجب أن توجه الطبيب وهو يعالج مريضه، كما أنها تبين لنا العلاقة القائمة بين الطبيب والمريض في فترة العلاج، ونجد أن

[1] _ أحمد محمود صبحي ، محمود فهمي زيدان، محمود مرسي عبد الله : في فلسفة الطب ،دار النهضة العربية،(د،ط)، 1993،لبنان، ص ص121-122.

[2] _ أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان: مرجع نفسه، ص123.

الرازي قد تحدث حول القيم الأخلاقية في الطب، وينصح كل مريض بأن يكون عطيفا للطبيب ومحترما له وأن يرفعه فوق خاصته، وأن لا يجعل بينه وبين طبيبه واسطة، وأن لا يكتم عنه سرا يتعلق بالمرض. وغيرها من نصائح سنتحدث عنها.[1]

[1] _أبي بكر الرازي: أخلاق الطبيب ، مصدر سابق، ص 31-32.

الملخص

نلاحظ أن الأخلاق الطبية مبحث عريق من مباحث علم الطب فهي بدأت مع بديات نشأته، بحيث أن البشر قديما أدركوا ضرورة وضع مواثيق أخلاقية تضبط الممارسة الطبية وتصوغ العلاقة بين الطبيب والمريض، إلا أن هذه الأخلاق الطبية بديات ظهورها إختلفت من حضارة إلى أخرى سواء الحضارات الشرقية القديمة أم الحضارة الإسلامية فلكل منهم يعامل مريضه حسب القوانين التي تفرضه عليه بلاده فمثلا الحضارة المصرية والبابلية كانوا ينظرون إلى المهنة الطبية كمهنة مقدسة مقترنة بالسحر والشعوذة، ويجب على الناس التسليم بكل نتائج العلاج ومنها الموت، حيث لا سلطة للإنسان على ما تقرره الآلهة.

أما الحضارة اليونانية فنجد أنها قدمت لنا أقدم وثيقة أخلاقية طبية تصوغوا لنا العلاقة القائمة بين الطبيب والمريض وتمثلت هذه الوثيقة في "**قسم أبقراط**" الذي يعتبر بوابة الأخلاق الطبية، ثم تليه الحضارة العربية التي عرفت نمطا فريدا من أنماط التصنيف الطبي الذي سمي "**آداب الطبيب**" أو **أخلاق الطبيب** فمن خلال هذا الصنف حاولوا أطباء العرب أمثال أبي بكر الرازي، أبو قاسم الزهراوي، وابن سينا وغيرهم، أن يبرزوا لنا أهم القواعد والضوابط التي من خلالها يجب على الطبيب والمريض تطبيقها فهي عبارة عن ميثاق يبين لنا كيف تكون العلاقة بين الطبيب ومرضاه، وكذلك حقوق وواجبات كل منهم، وعلى هذا الأساس وحسب ما يرى أبي بكر الرازي نجد أن الأخلاق الطبية أو العلم النظري هي أساس الطب التطبيقي، ويجب أن تسبقه.

الفصل الثاني:

الأخلاق وإيتيقا الحياة

الطبية عند الرازي

توطئة:

الطبُّ مهنةٌ ولكن ليست ككل المهن، فعلاقته مباشرة بحياة الإنسان وحرمته الجسدية، تجعل منه ممارسة متفردة في أهميته وطقوسه، فلقد انتبه الأطباء لهذه الخصوصية منذ القدم كما تطرقنا إليه سابقا، ووجدنا أن أبقراط أول من وضع القسم الطبي من أجل ممارسة الأخلاقية لهذه المهنة، ولكن لا يمكننا أن نكتفي بأبقراط ونترك أبي بكر الرازي الذي جعل من الطب ممارسة نظرية تطبيقية واقعية أخلاقية إيتقيا، معاصرة لوقتنا الحالي وكأن الرازي الذي وضعا لنا كتاب في أخلاق الطبيب قد عايشا ما نحن عليه الآن، فعلى هذا النحو إلى أي مدى امتدت أخلاقيات الطب عند الرازي؟ كيف يمكن اعتبارها بأنها أخلاق إيتيقا طبية معاصرة؟

المبحث الأول: الأخلاق والإيتيقا الطبية بين النظري والتطبيقي عند الرازي

المطلب الأول: تحديد المفاهيم

1/ مفهوم الأخلاق

أ/ تعريف الأخلاق لغة:

تعددت التعارف اللغوية لمعنى الأخلاق لكنها تكاد تتفق في أغلبها؛ فالأخلاق في اللغة العربية هي جمع خلق: وهي العادة السجية والطبع والمروءة والدين، وجاء في لسان العرب لإبن منظور أن لفظة الأخلاق اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة وهي من التمرين، ومن ذلك نقول للذي ألف شيئا صار له خلق، أي مرت عليه،وقيل:" وحقيقة الخلق: أنّه وصف لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافه ومعانيه المختصة به بمنزلة الأخلاق، بصورتها الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة"[1].

أما الأخلاق في الإنجليزية مشتقة من كلمة (morals) وهي مشتقة من كلمة لاتينية (mores) جمع (mos) "وتعني العادات والأعراف كما أنها تشير إلى مجموع المبادئ المقرة من قبل جماعة ما في فترة زمنية محددة"[2].

ومرجعها لاتيني (motalis)، ومعناها أيضا العادات ومن هذا جاء الاسم الأخر للأخلاق (ethes)في الإنجليزية.[3]

ب/ تعريف الأخلاق اصطلاحا:

"هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي للتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[4]، فقد

---

[1] _ هنادي عبد العزيز محمد عريقات: رؤية في الأخلاقيات الطبية في الشريعة الإسلامية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، برنامج الفقه والتشريع وأصوله، إشراف محمد مطلق عساف، 2011م، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس-فلسطين، ص3.

[2] _ مقداد كهينة: البيوإتيقا والبحث البيوطبي، مذكرة تخرج لشهادة ماجستير في الفلسفة، إشراف: زرداويفتيحة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2، 2012، ص5

[3] _ زنفور قدور: الأخلاق بين الحتمية والحرية "باسكال نموذجا"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير فلسفة، إشراف: يوسف ليلى، 2016، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران، الجزائر، ص16

[4] _ هنادي عبد العزيز محمد عريقات: مرجع سابق، ص4.

اختص الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم حيث قال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).[1]

ويعرف محمد مهران رشوان الأخلاق على أنها علم الخير والشر على أساس أن أهم ما يستفاد منه هو تحديد معنى كل من الخير والشر والتفرقة بينهما، كما يعطي لها تعريف أخر: الأخلاق هي القواعد التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان لبلوغ كامل إنسانيته في ضوء مثل أعلى يصبو إليه، ومعنى ذلك أن علم الأخلاق علم معياري لا يبحث في حياة الإنسان الواقعية، بل هو علم يضع ما ينبغي أن يكون.[2]

2/ تعريف الإيتيقاEthique:

في الاشتقاق

الأصل التداولي لكلمة الإيتيقا(Ethique) في اللغات اللاتينية والانجلوسكسونية، هي كلمة يونانية (ethics) والتي تشتق من كلمة (ethos) وهي كلمة مرادفة لكلمة (moralis) اللاتينية، المشتقة من (mores) وكل من (ethos) و (mores) يؤديان مفهوما مشتركا وهو العادة.

ولكن جاكلين روس تقيم فرقا جزئيا بين الإيتيقا(Ethique) والأخلاق (morales) فكلمة (la éthe) باللغة الإغريقية تعني العادات الأخلاقية و (mores) تعني الأعراف.[3]

في الإصطلاح:

هنالك عدة تعريفات للإيتيقا يصعب الوقوف على دلالة عامة وتكمن الصعوبة في التفرقة المقامة بين عالم النظر وعالم الممارسة.

تطلق الإيتيقا على القواعد الأخلاقية اللامشروطة، التي تحيل إلى توجُّه مجرد يتقاطع من الفلسفة الكانط أو إلى نظريات فلسفية مثل الأخلاق الأرسطية أو الأخلاق السبينوزية.

---

[1] _ سورة القلم: أية 4.

[2] _ محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار القبة للطباعة والنشر والتوزيع ،(د، ط)، 1998م، القاهرة، ص 20، 21.

[3] _ جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، ط1، 2001، بيروت، لبنان، ص11.

فهي الدراسة الفلسفية (Morale) للممارسات الأخلاقية، فهي بالتالي النظرية النقدية ل (morale) باعتبارها هي المضمون ل (ethique).

ويعرفها أندريه لالاند: هي تعبير عن بعد النظري للأخلاق تارة، وتعبير عن المنحنى العملي تارة أخرى.

ويوضح روشور ثكيدر أن التعريفات القياسية للإيتيقا تشمل عادة عدة عبارات متمثل في " علم الشخصية البشرية النموذجية" أو "علم الواجبات الأخلاقية".

كما يوضح ريتشارد وليام بول وليندا إيلدر أن الإيتيقا " مجموعة من المفاهيم والمبادئ التي توجهنا في تحديد السلوك المساعد من المضر للكائنات الحية" كما يوضحان أيضا أن معظم الناس يخلطون بين الإيتيقا والسلوك المبني على اتفاقيات اجتماعية، وعلى المعتقدات الدينية والقانون.

أما قاموس كامبردج في الفلسفة يوضح أن كلمة الإيتيقا "يشيع استخدامها بين الناس كمرادف لكلمة الأخلاق..."، ليوضح أن استخدامها العلمي يعني المبادئ الأخلاقية أو فلسفة الأخلاق لتقاليد معينة للفرد أو الجماعة.[1]

أما بول ريكور يرى أن الإيتيقا هي دالة على المنظور غائي مندرج ضمن التقليد الأرسطي، أفق حياة طبية تحققت ممكناتها، في حين خصص الأخلاق لما هو قاعدة ديونطلوجية ضمن التقليد الكانطي، قاعدة تستبطن معاني الإكراه والإلزام وتشد الكونية.[2]

[1] _ محمد جديدي: البيوإتيقا مقاربة علمانية، مجلة المؤمنون بلا حدود، مؤسسة دراسات والأبحاث، 2015، الرباط، المغرب، ص8، الموقع الإلكتروني: www.mominoun.com يوم 2023/03/10.

[2] _فهمي جدعان وآخرون : سؤال الأخلاق في الحضارة العربية الإسلامية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2018، بيروت، لبنان، ص119

الإيتيقا والأخلاق:

إن الخيط الفاصل بين الأخلاق والإيتيقا رفيع غير مستقر، فقليلا ما نميز بينهما، حتى وإن فعلنا ذلك يكون من غير إهتمام ولا تبين معها حقيقة الخلاف على مستوى اللغوي والإشتيقاقي أولا، وعلى مستوى الإصطلاحي ثانيا، وعلى المستوى سياسي ثالثا وفي اعتقادات العربية مصدر الإشكال ذلك ما تشير إليه بعض مصطلحات العربية كالأخلاق الحيوية أو أخلاق الحياة أو أخلاق البيئة أو أخلاق الكائنات الحية ليست صحيحة دائما[1]، فإذا نظرنا إلى منظومة الفكر الغربي فهي حاضنة المصطلحين ولا يرى فارق بين الأخلاق (morale)وبين الإيتيقا(ethique) وهنا يمكن السير لأن الذين ينادونا البيواتيقا يرجعون إلى إحداث تمييز حتى وإن كان البعد اللغوي الإشتيقاقي لا يظهر فرق بين الأخلاق و الإيتيقا يرى بول ريكور في قوله مبرزا الفرق بين الأخلاق والإيتيقا بحيث يضفي على التميز بينهما عدا فلسفيا يتصل بالإختبار في الحياة تشير له الإيتيقا هنا يميزها المنظور الغائي ويقصد هنا التراث أرسطوطاليسي أي حسن الإختيار الجيد، وبينما يتعلق الأمر في الأخلاق بما هو واجب وإلزامي يقصد بها تراث الكانط أو الواجب عند كانط، فما يميز الأخلاق هو الأوامر القاضية بالفعل، بينما الإيتيقا تتسم بخيارات سلوكية في الحياة يكون الإنسان حرا في تركها.[2]

بناءا على هذا التمييز سنبين أن فلسفة العملية عند الرازي هي تفكير إتيقي بامتياز، من حيث انشغالها بالخصال لا بأفعال، وبإزهار الذات وتحقق ممكناتها، أو كما يراها الرازي بنفسه البلوغ " **غاية ما في الجوهر مثلنا نيله وبلوغه**"، واقدار الذات على الفعل بواسطة العقل والروية عوضا عن الانفعال تحت وطأة الهوى وإتباع الشهوات والغرائز، ثم إن الرازي لا يحرص وضع قواعد وقوانين كلية لسلوك، لأن مطلوبه وغايته السعادة لا الواجب، حتى وإن تعلق الأمر بالواجب ما فهو واجب المرء نحو نفسه قبل واجباته نحو غيره، وثمة سببا

[1] _ محمد جديدي: مرجع سابق، ص6

[2] _ بول ريكور: الذات عينها كأخر، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005، بيروت، لبنان، ص343.

أخر يجعل الفلسفة العملية للرازي إيتيقا أكثر منها أخلاقا: الأخلاق أصدق ما تنطبق على الدين، بل إن كل الأخلاق إنما هي دين متنكر، بينما قيم الحياة الطبية عند الرازي كما سنرى هي قيم دنيوية غير مستمدة من أي مرجعية دينية ولا تتوسل أي سلطة لاهوتية، بل تكتفي بالعقل مصدرا ومعيارا.[1]

علم الأخلاق :

وهو العلم الذي يتناول دراسة أفعال الإنسان بالقياس إلى المثل الأعلى حتى يتسن له وضع قواعد لسلوكياته وتصرفاته وتعينه على فعل الخير والابتعاد عن الشر، ومعنى ذلك على علم الأخلاق أن يرتبط موضوعه بأفعال الإنسان، فهو لا تعنيه الظواهر الطبيعية بل تعنيه الظواهر الإنسانية فقط.[2]

3/ تعريف الأخلاق النظرية:

إن علم الأخلاق النظرية هو علم يبحث في طبيعة الحياة الأخلاقية كما لو كان علم الأخلاق يمثل صورة من صور البحث عن الحقيقة، ويدفع إليه دافع عقلي هو الرغبة في المعرفة فهو يهدف إلى التعرف على الصواب والخطأ في سلوك الإنساني؛ ومعنى هذا أن علم الأخلاق علم نظري بحت، فهو حين يبحث فيما يجب البحث فيه لا يكون بصدد التطبيق أو العمل، بل بصدد البحث والنظر.[3]

4/تعريف النظرية التطبيقية Applied ethics:

"هي فرع من فروع الأخلاق المُكَرَّسة لمعالجة المشاكل والممارسات والسياسات الأخلاقية في الحياة الشخصية والمهن والتكنولوجيا والحكومة، على النقيض النظرية الأخلاقية التقليدية المهتمة بالمشاكل النظرية البحتة، على سبيل مثال، تطوير معيار عام للصواب أي الالتزام بالمعايير الأخلاقية، تأخذ الأخلاق التطبيقية نقطة انطلاقها في التحديات المعيارية العملية،

[1] _ فهمي جدعان: مرجع سابق، ص 120
[2] _ هنادي عبد العزيز محمد عريقات: المرجع السابق، ص4
[3] _محمد مهران رشوان: مرجع سابق، ص23

إلى جانب النظرات العامة والمجلات"[1]،بمعنى أنها مجموعة من القواعد الأخلاقية العملية المجالية، التي تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف الميادين العلم.

المطلب الثاني: الأخلاق عند الرازي بوصفها إيتيقا لاستقلالية

تظهر إيتيقا الرازي بألوان مختلفة تبعا لأضواء المتسلطة عليها من طرف هذا الدارس أو ذاك، فكل واحد يعطي لها طابع خاص تميزها عن البقية.

ففي الدراسات التي تؤرخ الفكر العربي بعامة، حيث يجعل محمد عابد الجابري الرازي ممثلا رسميا للنزعة العلمية ضمن تقليد أخلاق السعادة المتأثرة بالموروث اليوناني،" حيث ترتبط الأخلاق عند الرازي من حيث مادتها وآفاقها العلمية بجالينوس، أما من ناحية الفلسفية فهي مؤطرة بخلفية العرفانية الفلسفة الدينية الهرمسية التي تدور كلها حول خلاص النفس من المزجة، أي الامتزاج بالبدن وعودتها إلى عالمها الأصلي"[2].

المقصود هنا أن نظرة الرازي حسب الجابري هي أن الأخلاق ممتزجة بالفكر اليوناني سواء من ناحية العلمية أو من ناحية الفلسفية، والهدف من الأخلاق هنا هو خلاص النفس وهذا الخلاص لا يكون بطريقة الصوفية المعروفة عندهم بتعذيب أجسادهم وتفريط في ما يجب عليهم استغلاله، بل الخلاص هنا يكون بالعقل (بالفلسفة فبالفلسفة يعرف الإنسان كيف خلق ويعرف النفس الكلية التي منها انبثقت نفسه).

أما الدراسات المخصصة حصرا لإيتيقا الرازي، فنشير إلى المقالة المطولة لبار آشير التي تميزت بجهد واضح لاستجلاء الخصائص الفريدة لهذه الإيتيقا من قبل نزعتها النفعية، إلا أن هذا الباحث لم يوفق رغم ذلك إلى تركيب هذه الخصائص في مذهب إيتيقي نسقي بسب انشغاله بإشكاليتين خاصتين استأثرها أيضا باهتمام الدراسات الأخرى.

[1]_ Thomas Sobirk Petersen , Jesper Ryberg: Applied Ethics, Oxford Bibliographies, 2019 http://www.oxfordbibliographies.com 13/03/2023

[2]_ محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2001، بيروت، لبنان، ص294.

تقوم الإشكالية الأولى على التباين الموجود بين الأخلاقيين اللذين قدمهما الرازي في كل من "**الطب الروحاني والسيرة الفلسفية**"، وانشغلت بهذا أيضا تريز آن درورت بدراستها الموسومة ب« **إتيقا الرازي The Ethics of al-Razi** »حيث تشير في مرسومها إلى مبادئ الأخلاق فهي ترى أن الطب الروحاني يخالف الرأي الذي يقر بأن الأخلاق والفلسفة يستندان إلى تقليد الله قدر الإمكان للإنسان، بل هو يستبعد هذا الموقف لأن الحجج ترتكز أولا وقبل كل شيء على تفوق العقل وثاني على مفهوم المتعة[1].

أما الإشكالية الثانية، فهي أصول إيتيقا الرازي في مؤلفات سابقيه من فلاسفة اليونان، وهذا ما يعني به أيضا مهدي محقق في دراسة المتبحرة التي تتبع فيها فصول الطب الروحاني رادا ما إشتملت عليه من نظريات ومفاهيم(النفس، واللذة، الألم ...الخ) إلى أصولها المحتملة، عند أفلاطون وأرسطو وجالينوس، وكذلك صنع غودمان وهو أيضا (محرر مادة الرازي في طبيعة الجديدة لإنسكلوبيديا الإسلام) في مقالة تقصت التأثيرات المقاطعة لأفلاطون وأبيقور، سواء على إيتيقا الرازي أو كوسمولوجيته (علم الكون)، مركزا فما يخص الأخلاق على نزوعها إلى الحساب المتروي وأفقها الدنيوي[2]، وتندرج في السياق نفسه "**مقالة غروف**" التي تحدث فيها عن القرابة الأخلاق الأبيقورية بينه وبين نيتشه، فالإثنين تبنيا المذهب الطبيعي الأبيقوري، لكن لكل منهما وجهة نظر حول هذا المذهب، فالرازي مثلا لم يكن على إستعداد للمضي قدما مع أبيقور وهو رافض "الراديكالي لأفلاطون الإلهي في الواقع "، فالمذهب الأبيقوري للرازي هو إعادة إدخال العناصر الأفلاطونية أي العودة إلى ما وراء الفيزياء واللاهوت في وجود الروح أبدية غير مادية وإله "هذا الأخير يعمل كمبدأ متسامي للوضوح والقيمة، إن لم يكن للوجود نفسه".[3]

---

[1] Thérèse-Anne Druart , **« The Ethics of al-Razi(865-925) »**, Medieval Philosophy and Theology 6 1997, Printed in The United States of American, Page53.

[2] فهمي جدعان: المرجع السابق، ص116

[3] Peter S. Groff, The Previous reference , pp 990-991.

أما المذهب الطبيعي الأبيقوري يمثل "خيارا حيا" تبناه **نيتشه** إلى حد كبير في الواقع لهذا سيكون من الصعب على المرء تحديد سلف فلسفي تربطه به صلة قرابة أقرب وأكثر جوهرية ، ولذلك نلاحظ أن نيتشه يرى أن المذهب الأبيقوري ليس جذريا بما فيه الكفاية فالتحجر على التدفق وبالتالي إعادة تكريس الله أو الكينونة في الطبيعة، تجعل امتيازاته الأخلاقية المتعالية على النشاط والتغلب على الذات والنمو المناهض تتراجع، مما يشجعنا على الإبتعاد عن المعاناة وهذا يساهم في تناقض الكائن البشري لأن حسب رأيه "العيش دون أن يلاحظه أحد يدفعه إلى التنازل عن مسؤوليته كمشروع فلسفي"[1]؛ فأبيقورية الرازي أفلاطونية، أما نيتشه فأبيقوريته ديونزيوسية.

صحيح أن هذه الدراسات قد فطنت إلى سيماء العلمانية واللادينية والدنيوية والشخصية والنفعية والحسابية والعقلانية في إيتيقا الرازي فهي معاني سنتوقف عندها في هذا الفصل، فغلبة الطابع الفيلولوجي عليها صرفها عن إستشكال ما هو معاصر لنا في تلك المعاني، فما هو معاصر وعابر للعصور في نظرنا إنما يكمن في إستغناء إيتيقا الرازي عن المرجعية الدينية؛ فهو لا يرفض الدين من حيث هو دين، بل دفاعا عن **استقلالية الإرادة البشرية (الأثونوميا)**، إرادة كل إنسان فرد، وأحقيتها بالتشريع الأخلاقي لنفسها؛ فلا تتبع غيرها أو تُسلم له أمر نفسها ليهديها سبل الرشاد، ففي نظر الرازي يظل الله هو الذي يشرع لنا، لكن هذا التشريع بغير واسطة، بل بما وضع فينا من قدرة التشريع لأنفسنا. ونزعم أن هذه الاستقلالية هي المبدأ الذي تلتئم حوله مختلف الخصائص التي فطنت إليها هذه الدراسات.

واهتم الرازي بأخلاق الإنسان دون تحديد قطر أو مكان محدد، وأكد من خلاله أن مجالس الأمراء نوقشت فيها كذلك قضية الأخلاق الإنسانية، حيث ذكر في مقدمة كتابه الطب الروحاني حيث قال: " جرى بحضرة الأمير الكلام في إصلاح الأخلاق، فسألني أن أعمل مقالة في كتاب، وأن أسميه بالطب الروحاني؛ من أجل أن يكون قرينا لكتاب

[1] Same reference, pp992-997._

المنصوري الذي غرضه في الطب الجسماني، وعديلا له فيه من عموم النفع وشموله النفس والجسد، فانتهيت إلى ذلك، وقدمته على سائر أشغالي، وبالله التوفيق إلى ما يرضى، ويقرب إليه، ويدني منه".[1]

المطلب الثالث: إيتيقا الاستقلالية المطلقة للعقل والنفس

1/ يتيقا الاستقلالية للعقل:

تفيد الاستقلالية الأخلاقية أن الذات تشرع لنفسها مبادئ وجودها الأخلاقي ولا تتلقى هذه المبادئ من خارجها تابعة فيها لغيرها، فهي بذلك " لا تتحقق إلا إذا صدرت المبادئ الأخلاقية لشخص عن الشخص نفسه أصالة"[2]، فالاستقلالية بهذا المعنى من أخص خصائص النزعة الإنسانية، بوصفها ذلك " الشعور العالي بأن العالم الإنساني الحقيقي يقوم في الاستقلال المطلق للعقل" ويقول عبد الرحمان بدوي " لا تتبع إلا ما تعقل ولا تصدق إلا بما يحق على العقل أن يصدق به"[3]، وقد شدد الرازي فعلا على استقلالية المطلقة للعقل وذلك في صياغة أقرب ما تكون إلى "البيان الفلسفي" فافتتح الرازي كتاب الطب الروحاني بفصل سماه **(في فضل العقل ومدحه)** استوقف هذا البيان جُل من اهتم بفلسفة الرازي ، فقرأ فيه البدوي وسماه " **الدعوة الحارة إلى التفكير الذاتي والتقنين الذاتي** الذي سنراه في العصر الحديث عند كانط وأترابه من الرجال حركة التنوير في أوروبا القرن الثامن عشر".[4]

يعدد الرازي أفضال العقل حيث يقول:" إن البارئ عزّ اسمه إنما أعطانا العقل وحبنا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة..."[5] ؛ فهو هنا يثبت في هذا الفصل أن العقل عطيّة إلهية، وهذه العطيّة ليست مجرد مِنة أو فضل من الخالق على المخلوق البشري، إنما

---

[1] _ أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، مصدر سابق، ص34.
[2] _فهمي جدعان: مرجع سابق، ص120.
[3] _ عبد الرحمان بدوي: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1948، القاهرة، مصر، ص20
[4] _ مرجع نفسه، ص53-54.
[5] _ أبي بكر الرازي: رسائل فلسفية،(الطب الروحاني)، ص8، نسخة PDF من الرابط التالي :
www.al-mostafa.com تاريخ دخول الموقع: 2023/03/20

هي إستراتيجية من العقل الإلهي من أجل تدبير الكون وتصريف شؤون الإنسان فيه، وذلك لاعتباره أشرف كائناته، فخلق الكائن البشري وتميزه على بقّية الكائنات بالعقل، ليس مجرد فعل اعتباطي وعفوي بل هو قصدٌي، وهذا القصد مركب لأنه موصول، أولا بإرادة الخالق المدّبرة لشؤون الكون الذي أوجده، وثانيا هي ما كان الإنسان ليرتقي عما سواه لولا العقل.

فهو أعظم نعم الله فقد وهبنا الله إياه لننال به المنافع العاجلة والآجلة، ويعتبر أنفع الأشياء لنا وأجادها الله علينا، فبفضل العقل يدرك الإنسان الفصل تمايُزي بينه وبين الحيوان غير الناطق[1]، "فالإقرار بالبعد التفاضلي المثالي المحكوم بخاصية النطق المطابق لمفهوم العقل لدى فلاسفة اليونان، فهما مرادفان لعبارة (اللوغوس الإغريقية)"[2].

بمعنى أن الإنسان غير الحيوان ، والنطق أو العقل هو الذي يحكم بجواز هذه الغيريّة، الجسمية الجامعة بينهما لا تمنع افتراقهما، فالكائن البشري يعي أفضلية العقل، فهو يمتلك منزلة تُتيح له تملك الحيوان وسياسته، وكذلك تصريف وجوده في كل شأن يعود بمنفعة على البشر نفسه كما أنها تعود على الحيوان كذلك، فيقول : "فبالعقل فُضِّلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسُسناها وذلّلناها وصرفناها في الوجوه العائدةِ منافعها علينا وعليها، وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشتنا ونصل إلى بغيتنا ومرادنا".[3]

ولا تتوقف هذه المنفعة عند وعي بتفرُّد الإنسان وتميزه فقط، بل تتجاوزه إلى مستوى الفعل أيضا؛ فهو كائن عاقل وواعي استطاع أن يعرف ذاته، وعلى هذا الأساس يدرك إنسان أنه لا يمكن للعقل الواعي أن ينفصل عن الفعل؛ فلا يكفي أن يعقل الإنسان بل يجب أن تكون أفعاله محكومة بتوجيهٍ من العقل؛ أي أن يكون الفعل واعيا وقصديٌ، فيقول الرازي:"به نتصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها فنراها كأن قد أحسسناها، ثم نتمثَل بأفعالنا الحسية صورها فتظهر مطابقة لما تَمَثّلْنَاهُ وتخيَّلناهُ منها"[4]. فمن خلال هذا المعنى نلاحظ أن الإنسان

[1]_أبي بكر الرازي: مصدر نفسه، ص8

[2]_ مراد بنقاسم: روح الأنوار في كتاب الكب الروحاني لأبي بكر الرازي، مجلة نقد والتنوير، العدد15، 2023، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، جامعة المنار، تونس، ص232.

[3]_أبي بكر الرازي: رسائل فلسفية، مصدر سابق، ص8

[4]_ الرازي: مصدر نفسه، ص9

يتخطى منزلة الحيوان وموضع الأطفال وحالة المجانين، فهو هنا يتجاوز البعد الحيواني بطابعه لغرائزي، كما يتجاوز طفولته فهي ذات طابع اعتباطي عفوي، وكذا بفضل حكمة العقل التي تعمل على نسج فاصل بينه وبين حالة الجنون التي يستحيل أن يكون العقل فيها سليما فهي حالة مضطربة يسودها الخلل، فيقول "به وصلنا إلى معرفة البارئ الذي هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أصابنا. وبالجملة فإنه الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين".[1]

ومع ذلك ليس العقل مجرد خاصية تميز الإنسان عمن هم دونه، وإنما هو فاعلية بشرية نرصدها في ما يؤكده الرازي بأن الفعل البشري مرتبط بالعقل[2].

لأن العقل يعد تمثل ذاته من خلال أفعاله، فالعقل ماهية الإنسان دون شك، فمن خلاله نميز الإنسان عمن دونه حظوة ورفعة، فهو متعالي عنهم لقصورهم، ولكنه غير متعالي عن العالم والتجربة والفعل، فماهية الإنسان ماهية حيوية نشيطة.

الرازي يضع العقل في مرتبة القيادة، فهو يُحمل الإنسان مسؤولية كبرى تجعل منه أرقى خلق الله؛ والعقل برأيه هو المرشد أخلاقيا وعلميا على حد السواء، فهو يضفي عليه من حيث وظيفته طابعا شموليا، لا تفوته صغيرة ولا كبيرة إلا أدركها وما عجز عليه اليوم يبلغه غدا، فها أنّ أبا بكر الرازي ينبهنا بأن الإنسان ليس كائنا عاقلا فحسب وإنما هو كائن فعلى ويستوعب ما يفعل.

حيث وافقه الرأي فيلسوف الإنجليزي **جون لوك–1632_1704م** في كتابه**(مقال عن الفهم البشري)**الذي يتصور الشخص من حيث هو " كان مفكر وذكي ، قادر على التحقيق والتفكير، إنه شأن العقل ذاته يفكر في فترات وأمكنة مختلفة، وهو ما يفعله من خلال إحساسه بأفعاله غير منفصلة عن الفكر، وهو ما يبدوا لي ضروريٌ تماما، إذ من المحال لبعضهم أن يكون قد أدرك دون أن يدرك ما أدركه... إننا نعرف الشيء في الوقت الذي

[1] _ الرازي: المصدر نفسه: ص9
[2] _مراد بنقاسم: مرجع سابق، ص234

نفعله، وتوافق هذه المعرفة، أحاسيسنا وإدراكاتنا الحالية[1]؛بمعنى أن العقل له قدرة على التوجيه فالإنسان من خلاله يكون مدركا لما يفعله وما يشعر به.

وعلى النحو الذي يحرر فيه الرازي العقل من حالته الأولى باعتباره عطية إلهية ليحمله مسؤولية الفعل في الواقع، فالعقل موصول بإرادته الحرة تجعله مسؤولا عن عالمه الإنساني.

ويجدد رائد فلسفة الأنوار جان جاك روسو(1712-1778م) فهو أيضا ينادي بربط الصلة بين العقل وحرية الفعل، فهو يبين لنا مدى فاعلية العقل على نحو ما يكون البيان خطابا في إنسان أعلن فساده بانحرافه عن الحالة الطبيعية حيث يقول إنما كل ذلك دليل شؤوم على الآفات التي تحل بنا من صنع أيدينا"؛ المقصود هنا أنه إنسان قادر على أن يتجاوز آفاته أو البلاء الذي أقحم فيه نفسه فهو بهذه الحال يخرج من حالته الطبيعية يصبح مثل الكائن البشري المتوحش يعيش شتيتا بين الحيوانات فهو هنا ويقول جان جاك: "فإني أكاد أجترئ على قول أن حالة التفكير حالة تضاد الطبيعة، وإن الإنسان الذي يتأمل (بعقله) حيوان فاسد"[2]، وما كان لفضيلة الفساد هذه أن تكون لولا لم تكن مرتبطة بحرية العقل المميز للكائن البشري،"فالتميز النوعي الذي للإنسان بين سائر الحيوان لا يُقيمه الذهن بقدر ما يقيمه كون الإنسان فاعلا حرا ".[3]

ولم ينسى الرازي التحدث عن وحدة سياسة النظر والعمل، فالعلاقة بين العقل والمنفعة متلازمة فهي لا تكف عن الحضور، بحيث تُبين لنا المنافع الآجلة التي يحظى بها الإنسان، ففيه آجل قريب وأخر بعيد، وأقرب المنافع الآجلة هي قدرة العقل على التدبير وحسن للمعيش، وتيسير المعاش وتصريف حياة الإنسان الجماعية القائمة على التعاون.

فبفضل العقل أصبح البشر يرافق بعضهم البعض مما أسهم في حسن معاشهم وسد احتياجات بعضهم، فلولا ذلك لكنا مثلنا مثل البهائم العاجزة عن تحقيق كمال التعاون والتعاضد العقلي، فإن من دلائل قيمة العقل البشري وفضيلته كافية للتفكير وإنشاء نظرية

[1] _ مراد بنقاسم: مرجع سابق، ص234-235.

[2] جون جاك روسو: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ترجمة بولس غانم، المنظمة العربية للنشر والتوزيع، مركز الدراسات الوحدة العربية ، 2009، بيروت،ص78.

[3] _ مرجع نفسه، 83.

نافعة، إذ تفطن الإنسان إلى أن التفكير المجرد المكتفي بالتأمل، على النحو تأمل الفلاسفة يظل غير كافٍ بذاته في تعاليه ذاك، رغم ما يكتنزه من جدارة ومنهجية في إنشاء النظر السليم، وبتميزه الصواب من الخطأ.

إن جوهر استفاقة الإنسان، تكمن في وعيه بأن إنشاء العقل لنظرية يمكن أن ينتهي به إلى إنشاء واقع مغاير وأفضل مما هو عليه؛ ونقصد بذلك إنتاج الصناعة التي ساعدت وعملت على تحسين وتطوير حياة الناس وتيسير معاشهم، وتقريب المسافات بينهم، فالبعد عن الحدود الجغرافية يعتبر كأحد موانع التلاقي فيما بينهم وعوائق التواصل؛ فالمنجز الصناعي حول هذه الحدود مجرد أشكال وهمية، وليس أدلُ على ذلك من إخضاع النظر العقلي إلى صناعة السفن التي لم تقرب البلاد البعيدة فقط، بل عملت على تواصل الناس والشعوب فتعارفوا بتقاربهم ذاك، واستكشفوا عوالم جديدة، وامتد التعارف إلى التعاون فتبادلوا البضائع والمنتجات فيما بينهم، حتى صارت الحاجات الممتنعة بالأمس، متحققة بالفعل اليوم[1]، لدلالة على هذا الكلام يقول الرازي:" فإنا بالعقل أدركنا صناعة السفن واستعمالها حتى وصلنا بها إلى ما قطع وحال البحر دوننا ودونه"[2]، يتضح لنا من هذا القول أن الرازي ينجز شيئا من الفرادة والطرافة في آن واحد، فهو يستفيق في هذا الزمان، على أهمية الصناعة وضرورتها في حياة الناس لأجل تعايش فيما بينهم؛ فهو هنا كأنه عاصر عصرنا هذا وعرف ما يحتاجه الإنسان من صناعة وتجارة ومعرف وتقارب بين الشعوب.

فمن خلال ما قدمه لنا الرازي حول تمجيده لمكانة العقل ومدى رقيه وتمايزه على كل ما هو محسوس، هنا نجد أنه انتهى إلى تساؤل مقصود يريد من خلاله إثارة إشكالية تتعلق بأسبقية العقل وتحكيمه قبل غيره من الشواهد والمبررات حيث يقول وبكل ثقة:" وإذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته، ولا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه، ولا هو الزمام مزموما عليه، ولا هو المتبوع تابعا، بل

[1] _ مراد بنقاسم، مرجع سابق، ص236.
[2] _ أبي بكر الرازي: الطب الروحاني مصدر سابق، ص36.

نرجع في الأمور إليه ونعتبرها به، ونعتمد فيها عليه فنمضيها على إمضائه، ونوقفها على إيقافه..."[1]، فهنا يبدوا أنه يلمح إلى مقاصد لم يصرح بها في رسالته، فإذا حاولنا أن نشرح هذا القول سنرى أنه يحاول أن يبين لنا مدى علو العقل على أي شيء أخر فهو يصرح أنه لا يمكن أن يكون محكوما عليه[2]، لأنه هو وحده يمكنه الحكم على الأمور المحسوسة أو المجردة إما بالسلب أو الإيجاب، ووضع العقل في هذه المرتبة ليس بالأمر الهين، فهو هنا تجاوز في تفكيره ما عرف عن المعتزلة في تقديم العقل على النقل، وفي تخصيص العقل بالتقبيح أو التحسين في غياب الشرع.

2/ الإيتيقا لأجل سكينة النفس وحياة الدنيا

أ/ اللذة والألم:

تتطرق الرازي لمسائل عدة تحت عنوان اللذة كحدها وأقسامها وتفاوت الناس في احتمالهما، فضلا عن السبب الأساسي الذي يحرك الإنسان نحو طلب اللذات الحاضرة وأثر العقل في كبحها، ولهذا نجد أنه قد ناقش مسألة اللذة والألم في كتابه "**الطب الروحاني**" وكتاب "**السيرة الفلسفية**" ثم أفرد له كتاب سماه "**مائية اللذة**" فبواسطة هذه المصادر يمكننا إعطاء صورة واضحة المعالم لتحديد موقفه من اللذة.

"فاللذة عنده ليست بشيء سوى الراحة من الألم ولا توجد لذة إلا على أثر ألم"، ويقرر الرازي من ناحية أخرى "إن اللذة إذا استمرت صارت ألما"، ويؤكد من ناحية ثالثة "إن اللذة حس مريح وأما الأذى فهو حس مؤلم، والحس تأثير محسوس فيمن يحس والتأثير فعل المؤثر في المتأثر(والتأثر عبارة عن تغير حال المتأثر وتلك الحالة إما طبيعية أو خارجة عن الطبيعة، ويقول إذا نقل المؤثر ذلك المتأثر من حالة الطبيعية حصل الألم والأذى، وإذا أعاد المؤثر المتأثر إلى حالة الطبيعية حصلت اللذة"، وهذه هي أشهر التعريفات اللذة التي ذكرها الرازي والتي تدور حول مفهوم واحد إنها ليست سوى إعادة ما أخرجه المؤذي من

[1] _ مصدر نفسه، ص36.
[2] _ مراد بنقاسم، مرجع سابق،ص237.

حالته التي كان عليها أي الرجوع إلى الحالة الطبيعية[1]، وأوضح مثال على ذلك رجل خرج من مكان كنين ظليل إلى الصحراء ثم سار في شمس الصيف فمسه حر ثم رجع إلى مكانه الأول فاستلذ هذا المكان حتى عاد إلي حالته الأولى وعندما بدأ يفقد الالتذاذ فشدة التذاذه بهذا المكان بمقدار شدة بلوغ الحر إليه وسرعة هذا المكان في تبريده وبهذا المعنى "حدّ الفلاسفة الطبيعيون اللذة فإن حدّ اللذة عندهم هو رجوع إلى الطبيعة"[2]، ولأن الأذى والخروج عن الطبيعة ربما حدث قليلا في زمان طويل أي تدريجيا ثم رجع إلى الحالة الطبيعية دفعةً واحدة في زمان قصير صار في مثل هذه الحال يفوتنا الحسُّ بالمؤذي ويتضاعف الإحساس بالرجوع إلى الطبيعة، فنسمي هذه الحال لذةً، ويظن بها من لا درية له أنها حدثت من غير أذى سابق ويتصورها مفردة خالصة برية من الأذى، وليست الحال على الحقيقة كذلك بل لا يمكن أن تكون لذّة بتّةً إلا بمقدار ما تَقَدمها من أذى الخروج عن الطبيعة، فإن بمقدار أذى الجوع والعطش، يكون بالالتذاذ بالطعام والشراب حتى إذا عاد الجائع والعطشان إلى حالته الأولى، لم يكن شيء أبلغ في عذابه من إكراهه على تناولهما بعد أن كانا ألذ الأشياء عنده وأحبها إليه، وكذا الحال في سائر اللذات، ولكن أكثر المائلين والمنقادين إلى اللذات لا يعرفون ذلك؛ لأنهم لم يتصوروا منها إلا الحالة الثانية أي التي من مبدأ انقضاء فعل المؤذي إلى استكمال الرجوع إلى الحالة الأولى؛ ومن أجل ذلك أحبوها وتمنوا أن يخلو في حال منها.[3]

ويتضح أن الرازي ومن خلال موقفه من اللذة والألم قد تعرض للانتقادات من قبل المفكرين، من بينهم فخر الدين الرازي عدّ وصف الرازي فيلسوف اللذة بأنها الخروج عن الحالة الغير الطبيعية، والألم بأنه الخروج عن الحالة الطبيعية، فجعل كمال اللذة بالإدراك الحسي خصوصا اللمسي أي الفعل القائم على الانفعال عن الضد، وعند استقرار الكيفية لم

[1] _ سعيد مراد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب- جامعة الزقازيق، ط 1،2001، مصر، ص30.
[2] _ مرجع نفسه، ص 30.
[3] _ أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، ص36-37

يحصل الانفعال والشعور و عندها لا تحصل لذة وهذا قول باطل[1]؛ لأن الإنسان يستلذ بالنظر إلى الصورة الحسنة علما بأنه لم يراها من قبل ولا كان عالما بوجودها وعندما لا يصح القول بأن النظر يدفع ضرر الاشتياق، وكذلك ربما يدرك الإنسان مسألة علمية من غير طلب منه لها ولا شوقا إلى تحصيلها أو قد يتفق أن ينال أحدنا مالا عظيما أو منصبا جليلا مع أنه لم يكن متوقعا لهما ولا طالبا لحصولهما حتى يقال بأن حصول هذه الأمور يزيل ألم الطلب والتشوق مع أن كل هذه الأمور لذيذة.

وكتفريق بين اللذة والألم وحسب ما قاله الرازي سابقا فاللذة هي عبارة عن خروج عن الحال الغير الطبيعية، وألم عبارة عن الخروج عن الحالة الطبيعية، فعلى هذا لم يكن لشيء من اللذات والآلام وجود دائمي، والتجربة أيضا تقوي هذا الظن، فإننا نشاهد أن جميع ما يعدّ من أقسام ما تقع به اللذة في هذا العالم إنما غاية اللذة بها عند أولئك حدودها، وإذا إستقرت زالت اللذة، وكم من صاحب ثروة أو جاه أو مشتهي لطيف لا تكون لذته كلذة فقير، وكذلك قياس الآلام، فإن أكثر الآلام بل كلها إذا دامت ولم تتجدد بشيء منها لم يكن بها تألم لصاحبها.

وما نراه أيضا أن الرازي ينظر إلى اللذة على أنها حس مريح والأذى حس مؤلم، فهو يؤكد أن الحس تأثير محسوس فيمن يحس والتأثير فعل المؤثر في المتأثر، والتأثر تغير الحال المتأثرة فإن أخرجته عن الطبيعة كان ألما، وإن أرجعته إلى الطبيعة حصلت اللذة، فأما الحال الطبيعية المتوسطة بينهما فهي لا لذة ولا ألم وغير محسوسة فلا هي خروجا عن الطبيعة ولا هي رجوعا إليها[2]

فما دمنا بصدد الحديث عن موقف أبي بكر الرازي من اللذة بوصفها الرجوع إلى الحالة الطبيعية؛ فهو لم يعد يرى الرجوع التدريجي إلى الحالة الطبيعية لذة فهو يقدم لنا مثال عن رأيه هذا فيقول "لو أصيب أحدنا فجأة وهو في حال سلامة بجراح وخرج بذلك عن حالته

[1] _ علي الهادي طاهر: أبو بكر الرازي العقل والأخلاق، مجلة آداب البصيرة، المجلد 2، العدد97، مركز البصيرة للأبحاث والدراسات والاستشارات،2021، العراق، ص256

[2] _أبي بكر الرازي، رسائل فلسفية، مصدر سابق، ص152.

الطبيعية دفعة واحدة، فإنه يجد من ذلك أذى وألم، وحينما ترجع جراحة بالشفاء شيئا فشيئا فلا يجد من ذلك من لذة"؛ بمعنى الإنسان السليم الذي يكون يتمتع بصحة عالية وخالية من العلل وأصيب فجأةً بمرض أو جرح عميق، فهو هنا خرج من حالته الطبيعية التي كان يتمتع بها أدت به إلى شعوره بالأذى وألم لعدم تقبله الوضع الذي عليه حتى وإذا بدأت حالته تستجيب للعلاج وبدأت بتماثل للشفاء تدريجيا، فهو لا يمكنه أن يحس باللذة الشفاء، فاللذة عنده فورية أما التدريجية فلا يعدها لذة.[1]

ولو تأملنا تقسيمه للذات لوجدناها قسمت على قسمين: الجسمانية وأخرى المعنوية وفضل المعنوية على الجسمانية ومصداق ذلك نجده عند تتبع أفكاره إذ أكد أن لنا حالة بعد الموت إما حميدة أو ذميمة، حسب سيرتنا عندما كانت النفس مع الجسد والأمر الأفضل الذي إليه خلقنا والأحرى بنا ليس نيل اللذات الجسمانية، بل اقتناء العلم والعمل والعدل إذ بهم خلاص الإنسان من عالمنا إلى العالم الذي لا موت فيه ولا ألم، أي أنه فضّل اللذة الآجلة الدائمة على الحاضرة التي يدعو الهوى إلى إيثارها، بينما العقل يدعو إلى تركها لأمور المؤثرة عليها.[2]

ونسب الرازي سبب إتباع اللذات الحاضرة وإيثارها إلى الهوى إذ يقدم الإنسان عليها بلا فكر ولا روية في عاقبتها وبالتالي تجلب له الألم وتمنعه عن لذات كثيرة قد تكون أضعاف ما ناله من لذة مؤقتة هدفها طرح المؤذي كإيثار الطفل المريض بالرمد حك عينيه وأكل التمر واللعب في الشمس، الأجدر بينا أن نرجع للعقل قبل القدوم على أي لذة وأن نفكر بالعواقب والنتائج كي لا نتألم من حيث نظن أننا نستلذ ونخسر من حيث نظن أننا نربح.

فالأمر إذن يقتضي بالعاقل أن يرى المرارة المتجرعة أهون وأيسر من المنتظرة التي لا بد من تجرعها، فضلا عن قمعه هواه في الكثير من الأحوال حتى ولو لم يرى لذلك عاقبة

[1] مصدر نفسه، ص154.
[2] علي الهادي طاهر: مرجع السابق، ص257

مكروهة، ليُعود نفسه ويروضها على تحمل ذلك حتى لا تتمكن الشهوات منه وتتسلط عليه إذ لها من التمكن في النفس الطبيعية والجبلة حتى يعسر عليه مقاومتها.

وتطرق فيلسوفنا إلى موضوع اللذة من وجهة نظر الفلاسفة إذ ربط موقفهم من إشباع اللذات ونوعها بمعتقدهم في مصير النفس بعد مفارقة الجسد، وقسم أرائهم إلى قسمان اللذين يرون أن النفس ليس وجودها بذاتها وإنما تفسد بفساد الجسم التي هي فيه وهؤلاء أباحوا للإنسان إطلاق اللذات التي لا تجلب له ضررا فوريا.

أما القسم الثاني فهم معتقدون بأن للنفس آنية وذاتا قائمة بنفسها وهي المستعملة للجسم والتي لها أداة وألة وأنها لا تفسد بفساده وهؤلاء طالبو بالتخلي عن الطباع السيئة ومجاهدة الهوى إذ يذلون من ينقاد إلى اللذات ويأسف على ما فاتهم منها، بل وصفوا صاحب هذه الحالة بالحيوان الذي لا يهمه سوى إشباع اللذات والشهوات دون فكر ولا دراية، وبينوا أن الإنسان مهما سعى في إشباع لذاته فلا ينال منها إلا القليل، بينما بهيمة واحدة بإمكانها أن تنال من لذة المأكل والمنكح مالا يقدر عليه عددا كبيرا من الناس.[1]

بمعنى أن اللذة تختلف بشكل كبير بين الإنسان والحيوان، فالبهيمة إذا تحصلت على التذاذها التام فلا يضرها أو يؤلمها ما وراء ذلك من لذات؛ كونها لا تفكر ولا يخطر ببالها البتة إذ تختلف عن الإنسان في ذلك وبناءا عليه فلذتها أكبر من التي ينالها الإنسان، فالإنسان يتمنى اللذات دائما ويجد نفسه غير قادر على تحقيق كل ما يتمناه ويرغب فيه، فهو يفكر دائما بالغائب ويتصوره؛ وبالتالي يصاب بالخوف والقلق على ما ناله والخشية من فقدانه وكذلك سعيه لما لم يحظ به، فالإنسان لو امتلك نصف الأرض لتمنى أن يمتلك النصف الأخر، ولو حتى امتلك الأرض بأسرها لتمنى دوام الصحة والخلود ليعرف جميع ما في السماوات والأرضيين.[2]

[1] _ علي الهادي طاهر: مرجع سابق، ص259.
[2] _ المرجع نفسه ص259

ب/ إيتيقا الدنيوية :

للرازي كتاب سماه **السيرة الفلسفية** حيث قدم فيه منظورا إتيقيا مختلفا إلى حد ما عن منظور **الطب الروحاني**، فبعض الباحثين تساءلوا عن حدود استمرارية أو القطيعة بين الكتابين، "فبينما تقرر السيرة الفلسفية في مبدأ الأول

وجود الحياة بعد الموت وأنها كيفيتها رهينة بأعمالنا في هذه الدار أما الطب الروحاني فيستبعد بكل عناية مسألة خلود النفس ويحاج بمنافع دنيوية"[1].

– إن السيرة الفلسفية هي معاملة الناس بالعدل والأخذ عليهم بعد ذلك بالفضل واستشعار العفة والنصح الكل والاجتهاد في نفع الكل إلا من ظهر عندهم الجور والظلم، فلإنسان متى ما لزم العدل والعفة وأقل من مما حكة الناس ومجاذبتهم سلم منهم وإذا ضم إلى ذلك النصح والرحمة أصبح محبوبا عندهم[2]

– إن مصير الإنسان بعد الموت تقرره علاقة النفس مع الجسم وإن الله خالقنا لا لطلب اللذات الجسمانية، بل لطلب العلم إذ بهما خلاصنا في العالم الذي لا موت فيه فهذا ما أراده الله لنا ومنا، فقد ينال الإنسان في حياته على لذات تتحمل النفس بسببها ألما كبيرا فيما بعد فلا ينفعه ملك إنسان مهما كانت مكانته وصاحبه عاص الله.

– يجب على الإنسان تحكيم عقله في التعامل مع اللذات ومحاربة الهوى الذي يدعونا إلى نيل اللذات الحاضرة وإن كانت نتائجها إصابة كبيرة فيما بعد، فالعاقل هو من لا يفضل اللذة العاجلة التي يعقبها ألم أكبر منها، وعلى الفيلسوف أن يترك الكثير من الملذات المباحة ليعود نفسه ويكون فعله في الموضع الواجب أهون وأيسر.[3]

– عدم الإضرار بالنفس والحفاظ على بقاءها وهذه إرادة الله فضلا عن ذلك فإن الله كرمنا وفضلنا على الحيوانات وأباح لنا صيدها والاستفادة منها وأباح التغذي من بعضها فالأجدر بنا فعل ذلك عن قصد ومذهب عقلي عدلي لا نتعداه أو نتجاوز حده؛ لأن صيدها

[1] _ فهمي جدعان: مرجع سابق، ص124
[2] _علي الهادي طاهر: مرجع سابق، ص261
[3] _مرجع نفسه، ص262.

يسبب لها الألم والإيذاء والإبادة، وانطلاقا من ذلك يجب أن يكون قدومنا على هذا الفعل إلا عند الضرورة، وكذا الحال في استعمالها فتكد البهائم كد قصد لا عنف إلا في موضع التي تدعو الضرورة لذلك، مثال كحث الفرس عند طلب النجاة من العدو، فمن العدل هنا أن يُحث ويُتلف إذا كانت النتيجة خلاص الإنسان.[1]

فمن خلال ما ذكر حول التعامل مع الحيوان يمكننا القول بأن الرازي يعتبر من دعاة المحافظة على البيئة وحماية الحيوان، ولكن حدة صوابنا تلين عند تتبعنا لموقفه من الحيوانات المفترسة المؤذية للإنسان خصوصا التي تتغذي على اللحوم كالأس والنمر والذئب وكذلك القوارص كالحيات والعقارب، إذ طالبة بضرورة طردها وإبادتها وإهلاكها.

– إن البشر المتفاوتون في احتمال اللذة والألم، وعلى من يريد إصلاح حالهم أن يكون عارفا بذلك وأن يطالبهم الالتزام والاعتدال في نيل اللذات؛ فلا إفراط ولا تفريط ، فالله عز وجل عالم لا جاهل وعادل لا يجور، ونحن عبيده ومملوكين له، فعلينا الأخذ بما يأمرنا ولذلك علينا الالتزام بالعلم والعدل[2]؛ وهو المعنى الذي وضعوه الفلاسفة ومنهم الرازي" إن الفلسفة هي التشبه بالله عز وجل"[3]؛ لذا على الفيلسوف أن لا يقصر بجزئي الفلسفة (العملي والعلمي).

– كما يركز الرازي على ضرورة الاهتمام بالغذاء والابتعاد عن المُسكرات ففي فالفصل الرابع عشر من كتاب الطب الروحاني الذي سماه، "في السُكر وعواقبه" يقول: "إن إدمان على السكر ومواترته هي إحدى العوارض الرذية المؤدية بصاحبها إلى المهالك والبلايا والأسقام، وذلك أن المفرط في السكر مشرف في وقته ذلك على السكتة، وعلى امتلاء بطن القلب الجالب للموت الفجأة، وعلى انفجار الشرايين التي في الدماغ وعلى التردي والسقوط في الأغوار"[4].

[1] _ مرجع نفسه، ص262.
[2] _مرجع نفسه، ص262
[3] _ أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، ص29.
[4] _ المصدر نفسه، ص 94.

فالرازي ينبه الإنسان على ضرورة الابتعاد عنه، وذلك لما فيه من أثار سلبية وخيمة تعود بالسلب على العقل والحياء عموما، حيث يقول: "هذا إلى ما يجلب من فقدان العقل، وهتك الستر، وإظهار السر، والعقود به عن إدراك جلّ المطالب الدينية والدنيائية، حتى أنه يكاد يتعلق منها بالمأمول، ولا يبلغ حظوة، بل لا يزال منها منحطا متسفلا ... وبالجملة فإن الشراب من أعظم مواد الهوى وأعظم أفات العقل، وذلك أنه يقوي النفسين أعني (الشهوانية والغضبية)، ويشحذ قواهما حتى يطالباه بالمبادرة إلى ما يحبانه مطالبة قوية حثيثة، ويوهن النفس الناطقة، ويبلد قواها، حتى لا تكاد تستقصى الفكر والروية..."[1]

المطلب الرابع: فصل الأخلاق عن الدين

بقي لنا الآن أن نفسر الجرأة الشجاعة التي اقتدر بها الرازي على التفكير في الإيتيقا بمعزل عن الدين، على النحو الذي وصفناه،، السر في نظرنا هناك خصلتان لم تجتمعا لغير الرازي تنمان عن **شجاعة وجود** وهما اللاأدرية الدينية والنظرة المأساوية إلى العالم، فمن المرجع أن يكون الطب هو الذي أورثه إياهما، من حيث أن الممارسة الطبية توقف صاحبها على حقيقة الهشاشة الإنسانية في مواجهة الألم والموت اللذين يضربان ضربا عشوائيا، لا يزيد المتألم إلا حيرة ولا أدرية.

وقد وصف الطبيب في جامعة هوبكنز، فيليب أوبري في مقال له متعلق بالتربية الأخلاقية للأطباء هذا التماس بين الطبابة والدراما الوجود وحاجة الطبيب إلى قدرات "شكسبيرية"على التحمل، بقوله:" تكتشف لنا دراما حيوات الشخصية للأفراد، انكشافا لا يأتي في غير مهنة الطبيب، نرى الناس في أحسن أحوالهم وأسوئها، الرواقي منهم والجزوع، المسحوق المدمر والجذل المغتبط، وإن انتبهنا جيدا سنتعلم في خصم السيرورة شيئا ما عن المعنى أن تكون إنسانا ... ونشارك في دراما الإنسان الفاني الباحث عن المعنى ... وعلى الرغم من أن الطب يعتمد ووظيفيا على العلم ليمده بالأدوات الضرورية، فإن غايات الطب

[1]_فهمي جدعان، مرجع سابق، ص125

تمضي على أبعد من مجرد الانتصار على المرض"[1]؛ ذلك أن الطبابة الجيدة تنطوي أيضا على استشعار المعاناة الروحية والأخلاقية للمرضى وهم يتعايشون مع اللايقين والكرب.

أ/ اللاأدرية الدينية:

يرى توماس هنري هكسلي أن " اللاأدرية ليست عقيدة إنما هي طريقة يكمن جوهرها في تطبيق الدقيق لمبدأ واحد، وهناك منظوران فيما يختص بمسائل الفكر أولهما الإيجابي، الذي يشير إلى مبدأ اتبع عقلك لأبعد مدى بغض النظر عن أي اعتبار أخر، ثانيهما سلبي هو الذي يؤول إلى أنه لا تسلم بصحة ثبوتها من عدمه"[2].

يخلو **الطب الروحاني** من حجة السلطة الدينية عند تشيع المبادئ الإتيقية، بحيث لو وضع كلام الرازي على لسان بوذي أو يهودي أو مسيحي ما نقص ذلك من صلاحية حجاجه شيئا، وفي مواضع القليلة التي ذكر فيها مصطلح الدين أتى غير مضاف إلى شريعة معينة وهو أمر يشهد بوعيه وقبوله بواقعة التعددية الدينية وتحليه بما سماه المترجم الطب الروحاني إلى الإنجليزية باسم اللاأدرية المتسامحة.[3]

يستشهد الرازي بأقوال الفلاسفة وبوادر الحكماء الشعر العربي وبتجاربه الشخصية، إلا أنه يتحاشى بعناية الحجج الدينية، فهو لا يتعرض لها بخير ولا بسوء[4]؛ باستثناء موضوعين يذهب فيهما مذهبا يخالف صراحة أخلاقيات الدينية: فالموضع الأول، يعامل الخمر معاملة الطبيب لأي عقار، أي أنه غير مبال بأحكام شرعية مقرر إذ يقول: "وقد يُحتاج إلى الشراب ضرورة في دفع الهم وفي المواضع التي يحتاج فيها إلى فضل من الانبساط ومن الجرأة والإقدام والتهور، وينبغي أن يُحذر ولا يقرب البتة في مواضع التي تحتاج فيها إلى فضل فكر وتّبيُن والتّثبُت".[5]

---

[1] _ فهمي جدعان: مرجع نفسه، ص125.

[2] _ Huxley, Thomas Henry, Agnosticisme, The Popular Science Monthly, Vol46, No34, (New York : D. Appleton and Company), 1889, p768

[3] _ فهمي جدعان: مرجع سابق ص126

[4] _ مرجع نفسه، ص126

[5] _ أبي بكر الرازي: رسائل فلسفية، مصدر سابق ص 36.

أما في الموضع الثاني يرفض الرازي صراحة الحجية الدينية رئيسية المتمثلة في "سير الأنبياء"، حيث نجده يتحدث في فصل العشق والألف في الطب الروحاني على أن الجاهل هو من يعتقد أنه لا علم موجود من دونهم ولا أحد يستحق أن يسمى عالما إلا بهما وكان رده على احتجاج هؤلاء لتحسين عشق الأنبياء وما يُلُوا به فيقول" إنه ليس من أحد يستجير أن يعد العشق منقبةً من مناقب الأنبياء ولا فضيلة من فضائلهم، ولا أنه شيء أثروه واستحسنوه، بل إنما يعد هفوة وزلة من هفواتهم وزلاتهم."[1]

وبالإجمال لا يمكن في نظر الرازي الاحتجاج للإيتيقا بالدين، أول الأديان إلا في مواضيع إجماعها، وقد كان ذلك في موضع واحد عند الحديث عن زم الهوى وردعه الذي هو واجب في كل رأي وعند كل عاقل وفي كل دين.

ب/ مأساوية الوضع البشر:

إذا كنا نتحدث عن إيتيقا الحياة الدنيا الطبية عند الرازي، فلا بد من التنويه بأنها طبية فقط في حدود ما يسمح به الوضع البشري، الذي يجعل الرازي يتخطى ويفصل الرابط المرسوم بين الأخلاق والدين، وهذا الوضع تسميه في نظر الرازي الهشاشة والمأساوية؛ إذ تخترقه الشرور من كل جانب بدأ بأمراض الجسم، وانتهاءٌ بأفق الموت مرورا بأنواع من عذاب الروح وحسراتها، وما سكينة فيه إلا كخيط رفيع، وبسبب هذه المسحة التشاؤمية تقف إيتيقا الرازي على الطرف النقيض من الوعي السعيد والسردية المتفائلة لقصة الوجود البشري في أديان الوحي عموما والإسلام خصوصا.

نقل موسى ابن ميمون عن الرازي في أن " الشر في الوجود أكثر من الخير، وإنك إن قايست بين راحة الإنسان ولذاته في مدة راحته ، مع ما يصيبه من الآلام والأوجاع الصعبة والزمانات والأنكاد والنكبات، فتجد أن وجوده نقمة وشر عظيم طلب به".[2]

[1] _ مصدر نفسه، ص22.
[2] _ فهمي جدعان: مرجع سابق، ص128.

إن النظرة المأساوية إلى العالم في إيتيقا الرازي ثمرة ضرورية للنزعة الإنسانية التي لمسناها في إشادته بالعقل وانتصاره لمبدأ الاستقلالية، فبقدر ما تعلي الاستقلالية من شأن الإنسان باعتباره مصدر التشريع الأخلاقي؛ فهي تستبعد كل ملجئٍ للإنسان غير الإنسان نفسه، فتلك هي إذا المبادئ العامة لإتيقا الرازي فهي ذات تشرع لنفسها وتأمر نفسها فتنتهي إلى قيم أخلاقية محايدة دينيا ومقتصرة على خير الإنساني الدنيوي يتمثل باللذة بما هي راحة للجسم والنفس من الألم الذي هو أخص خصائص الوجود.[1]

1_ مرجع نفسه، ص128.

المبحث الثاني: ممارسة الطب بين أخلاق الطبيب عند الرازي وضوابط المهنة الطبية

المطلب الأول: المفاهيم الأساسية

1_تعريف الطبيب

يقول لأبن القيم الجوزية: " فالطبيب هو الذي يفرق بين ما يضر بالإنسان جمعه أو يجمع فيه ما يضره، أو ينقص ما يضره زيادته، أو يزيد فما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة، أو يحفظها بالشكل والشبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض، ويخرجها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية".[1]

كان الطبيب عند العرب يسمى حكيما لأنه يلم ويتبحر بعلوم عديدة كالطب والفلسفة والرياضيات وموسيقى والطبيعيات وغيرها من العلوم.[2]

عرف "عبد الفتاح مراد في كتابه موسوعة البحث العلمية إعداد الرسائل بأنه الشخص المؤهل والمختص لعلاج المرضى"، يستعمل الاصطلاح الانجليزي في حالات معينة كأن يقول طبيب العائلة، أو طبيب المدرسة، فيطلق هذا المصطلح على كل من يقوم بعمليات التطبيق بمعناها الواسع[3].

مفهوم العمل الطبي:

يعرفه الفقه "إن العمل الطبي هو العمل الذي يقوم به شخص مؤهل من أجل الشفاء الغير"[4] وهذا التعريف جاء مقتصرا على غاية الشفاء فقط.

بحيث يعرفه الدكتور محمود نجيب الحسني بأنه" ذلك النشاط الذي يتفق في كيفية وظروف مباشرته مع القواعد المقررة في علم الطب، ويتوجه في ذاته وفق المجرى العادي لأمور إلى شفاء المريض والأصل فيه أن يكون علاجيا أي أن يستهدف التخلص من

[1]_ هنادي عبد العزيز عريقات: رؤية في الأخلاقيات الطبية في شريعة الإسلامية، مرجع، ص46.
[2]_ عبد الله عبد الرزاق: مسعود سعيد: الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، ط1، 1985، الأردن، ص45.
[3]_ مريم شريط: أخلاقيات المهنة الطبية بين التمثل والممارسة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، 2020، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-قسم العلوم الاجتماعية، بسكرة، الجزائر، ص63.
[4]_ حمزة بن عقون: المسؤولية الجزائية للطبيب الجراح في التشريع الجزائري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم القانونية، 2018، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، كلية العلوم السياسية-قسم الحقوق-، الجزائر، ص16.

المرض أو تخفيف حدته ويعتبر من الأعمال الطبية ما يستهدف الكشف عن أسباب سوء الصحة أو مجرد الوقاية من المرض"[1].

ويعد هذا التعريف أكثر شمولية للعمل الطبي من الفحص والتشخيص وعلاج ويكون بصفة قانونية العمل الطبي.

تعريف المهنة:

"هي مجموعة الأعمال المتشابهة التي تنتمي إلى الوحدة نوعية، بحيث يمكن للفرد إذا مارس أحدها أن يمارس الأخر بعد تدريب طفيف". [2]

المطلب الثاني: تطور الطب بين تعليم والصناعة الطبية عند الرازي

1/ أسس تعليم الطب عند الرازي:

لم يكن الرازي مجرد طبيب يهتم بعلاج المرض، بل كان معلما عظيما يهتم بنشر العلم وتوريث الخبرة، وكان يدرس تلامذته الطب في المدرسة الطبية العظيمة في مستشفى العضدي في بغداد، ولقد كان يعتمد في تدريسه على منهجين هما: العلمي النظري، والتجريبي الإكلينيكي؛ فكان يُدَرِّس بالكتب الطبية وبعض المحاضرات ، ويدير حلقات علمية.

إن الرازي كان حريصا على سؤال المريض عن كل ما يتعلق بالمرض سوء من قريب أو بعيد، فهو دائما ما يوصي الطبيب على كثرت سؤال عن كل ما يؤلمه من أجل معرفتعلتهالمريضن الطبيب ينبغي[3]، وهذه أول خطوة في تعامل مع المريض في الطب الحديث، فهم يقومون بمعرفة تاريخ المرض وتتبع المريض من الجانب التحدث معه ومعرفة أسباب العلل التي تصيبه، ثم يقوم الرازي بالكشف عن المريض وقياس الحرارة والنبض، وإذا استلزم الأمر أن يُدخل المريض المستشفى فإنه يضعه تحت الملاحظة الدقيقة والمستمرة،

[1] _ مريم شريط: مرجع سابق.

[2] _ بدون مؤلف، مفهوم الوظيفة المهنية، جامعة أم القرى ، الموقع http://uqu.edu.sa/page/ar/ تاريخ الدخول:2023/03/20

[3] _أبي بكر الرازي: أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص48

لتسجيل كل معلومة قد تكون مفيدة في كشف سبب المرض، أو في وصف العلاج، ، وفي هذه الفترة كان حريصا على أخذ معه طلبته إلى أسرة المرضى، ليشرح لهم ويعلمهم وينقل لهم خبرته، وكان الرازي يدرس طالبه الطب لمدة ثلاث سنوات بحيث يبدأ بالأمور النظرية ثم العلمية؛ تماما مثلما يحدث الآن في كليات الطب، وكان في أخر السنوات ثلاث يعقد امتحانا لطلبة الطب، وهذا الامتحان كان يتكون من جزئيين: الجزء الأول في التشريح، والثاني الجانب العملي مع المرضى، ومن كان يفشل في الجانب الأول "التشريح"، لا يدخل الامتحان الثاني، وهذا أيضا ما نمارسه الآن في كليات الطب.[1]

2/ الدواء عند الرازي

لم يكن الرازي يكتفي فقط بالتدريس والتعليم والامتحانات لنقل العلم، بل اهتم بجانب آخر لا يقل أهمية عن هذه الجوانب وهو جانب التأليف، فقد ألف كُتُبًا قيمة في الطب وقد أحدث بعضها أثرا كبيراً في تقديمه، وفي طرق المداواة والعلاج وتشخيص الأمراض، وقد امتازت مؤلفات الرازي بالموسوعية والشمول، بما تجمعه من علوم اليونان والهنود بالإضافة إلى أبحاثه المبتكرة وآرائه وملاحظاته التي تدل على النضج والنبوغ كما تمتاز بالأمانة العلمية الشديدة؛ إذ أنه ينسب كل شيء نقله إلى قائله، ويرجعه إلى مصدره الأصلي.[2] وسنقف على بعض إنجازاته وأعماله الطبية حيث يُعزى للرازي طريقةٌ مبتكرة في اختيار أماكن بناء المستشفيات الجديدة؛ فعندما طلب منه رئيس وزراء المكتفي أن يبني مستشفى في المدينة، قام بتوزيع قطع اللحم في مناطق مختلفة في المدينة واختار المكان الذي كان تعفن اللحم فيه أبطأ معللا ذلك بأن الهواء أنظف وأكثر صحة، كما أنه طور العديد من الأدوات المستخدمة في الصيدليات كالهاون(mortar) والمدقة(pestle) والملوق(ملعقة الصيدلي:أداة شبيهة بسكين عريضة النصل spatule) والقوارير الزجاجية وغيرها من

[1] _ سامي حمارنه: الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي ، مجلة عالم الفكر، المجلد10، العدد2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979، الكويت، ص304.

[2] _ فيصل عبد اللطيف ناصر: أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي مداخلاته وانجازاته الطبية،البحرين، مجلة جمعية الأطباء البحرينية العلمية، 2010،ص3.

الأدوات، كما ابتكر طرقا حاذقة وذكية للتشخيص؛ فعلى سبيل المثال قام بتشخيص داء السكري عن طريق الطلب من المريض المشتبه بإصابته بالتبول على الرمال وتركها، فإذا اجتمع النمل على البقعة بعد مدة فإن مريض مصاب بداء السكري، كما ذكر بأن الحمى عرض وليس مرض واستخدم مصطلح "**الموت المفاجئ (Sudd en death)**" قبل1000 عام عندها لفت الانتباه إلى حقيقة أن القلب مسؤول عن الإغماء والموت المفاجئ قائلا "يحدث الموت المفاجئ عندما يتقلص القلب ولا يسترخي".[1]

ومن بين مؤلفاته "**كتاب الحاوي**" الذي يعتبر أحد أهم الكتب التي كتبها الرازي وأكبر موسوعة طبية تحتوي على جميع الاكتشافات الطبية في عصر الرازي، بالإضافة إلى اكتشافات الرازي نفسه، ناقش هذا الكتاب أمراض مختلفة وعلاجها كما تناول موضوعات دوائية خاصة متعلقة باضطرابات معينة، وفي هذا الكتاب انتقد الرازي آراء جالينوس فيما يخص بعض الحالات التي سنتطرق إليه.

عند تطلعنا لكتاب الحاوي وجدنا أن الرازي شرح فيه وبالتفصيل كيفية علاج الأمراض ووقاية منها، فهو في هذا الكتاب لم يتحدث عن الداء فقط بل وضع بين أيدينا الداء وكيفية التخلص منه بالدواء ومن بين الأدوية التي وجدنها، والتي تعتبر أكثر أمان المتمثل في

_منافع الأغذية ودفع مضارها:

اهتم الرازي بالغذاء كدواء، حيث كان في الطب والتداوي ينصح دائما ببدء استعمال الغذاء فإن لم يستفد منه المريض يلجأ إلى الدواء، وفي هذا الصدد يقول:" إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة" ويقول أيضا "مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب" وكذلك يقول "إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا، فما أقل لبث العلة"، ويقول أيضا "عالج في أول

[1] _ سارة خطاب: حاوي الطب أبو بكر الرازي، ، مجلة كوكب العلم،2016،مصر، ص1. انظر إلى موقع: https://www.bibalex.org.com تاريخ الإطلاع: 2023/03/16.

العلة، بما لا تسقط به القوة"[1]، فأقواله هذه هي دليل على فائدة الغذاء لأن به يستطيع المريض التغلب على علله.

ونجده يشير إلى فوائد الكثيرة من الأغذية منها: السُذاب الذي يعتبر من أكثر البقول الطاردة للريح وأنفعها للأمعاء السفلى ولمن يعتريه القولنج، إلا أنه ليس جيدا للمعدة وهو رديء لمن يسرع إليه صداع جيدا، وذكر في الطب الحاوي الجزء الثالث والعشرون الذي سماه "**قوانين استعمال الأطعمة والأشربة لحفظ الصحة**" التوابلوالأبازير التي تقع في الطبيخ، التي تستعمل بها ومعها منافعها، ودفع مضارها والنافع، وضار منها في وقت دون وقت وحال دون حال، ففائدة الملح هو الإعانة على هضم الطعام، ويمنع من إسراع العفونة إلى الدم، ويفتق الشهوة ويذهب بوخامة الدسم، وهو لصحاب الرطوبة الكثيرة موافق، وأما للنخفاء فهو ضار، ولذلك يجب أن يكثر منه أصحاب الأبدان الرطبة، ويقللوا منه أصحاب الأبدان الجافة.[2]

كما يرى في الفواكه الرطبة فائدة فيقول " في الفواكه الرطبة وما يجري مجراها وذكر منافعها ودفع مضارها"، بمعنى أنه قد ينتفع بالفواكه الرطبة الباردة إذ قُدمت له قبل الأغذية في يوم الذي تعب فيه الإنسان وأصابه حرٌ شديد، فهي تطفئ تلك الحرارة، إلا أن هذا التدبير ليس في غاية الجودة بمعنى بقدر ما توجد فيها منافع للإنسان، بقدر ما تحمل في باطنها من أضرار[3]، ويقول ابن مساوية في دفع مضار الأغذية "الفواكه جملة يجب أن تقدم قبل الطعام وخاصة الرقيقة المزلقة".[4]

نلاحظ أن الرازي كان الغذاء أحد السمات المميزة في النظام الطبي، لأنه كان يفضل العلاج عن طريق النظام الغذائي الصحيح، وتجنب الإفراط في استخدام الأدوية الكيميائية.

---

[1]_ أبي بكر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، المجلد الخامس، دار الصادر، ط1، 1977، بيروت، ص159.

[2]_ أبي بكر الرازي: كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها، المطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطى بجمالية، ط1، 1305ه، مصر، المحمدية، ص3.

[3]_ أبي بكر الرازي: الحاوي في الطب، تحقيق: محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، بيروت، لبنان، ص3735.

[4]_المصدر نفسه، ص3737.

لم ينسى الرازي التذكير بأنواع العلل "وإنما العلل الواقعة لها ثلاث شروط: علّة واجبة البُرء وعلة جائزة البُرء، وعلة مستحيلة البُرء، فأما الواجبة البُرء، فكحُمّى يوم في أكثر الموضع وصداع حدث من حر شمسٍ، وأما الجائزة البُرء، فكحُمّى عقدية أصابت إنسان قوي البدن خصيبة ولم تكن من جنس الحميات الخبيثة، فإنّ مثل هذه الحمى إذْ عولجت كما يجب، وكيف يجب بما يجب، فإنها تزول سريعاً، وإن لم تعالج فكثيرا ما زادت، وربما وقفت ولم تزد، وأمّا المستحيلة البُرء، فمثل السرطان والجُذام، والبرص، فالطبيب في أكثر الأمر ملوم، وعلى أي حال، وأما فيما يمكنه علاجه فلطول وقت المعالجة، وأما فيما لا يمكنه العلاج فلِعجزه عن ذلك".[1]

وينقل ابن أبي أصيبعة قوله عن اختلاف الطبائع والأمزجة، وهو ما نستدل به على كثرة اهتمامه بذلك،وكذلك على نتائج أبحاثه، من خلال تنقلاته من مكان إلى أخر حيث قال الرازي:" ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة، لا مقبلاً على الدنيا كليّةً، ولا معرضًا عن الآخرة كليّة، فيكون بين الرغبة والرهبة" بمعنى وجب على الطبيب أن يكون على مزاج معتدل عند قيامه بعمله، ولا تكون همه الدنيا فقط أي العمل من أجل الكسب، ولا يتجرد من أخلاقه ويعمل بلا ضمير فهو هنا يكون معرضا عن الجزاء والحساب في الآخرة أي يكون بين الترغيب والترهيب، وقال أيضا:" بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات"، وقال: " باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات وطباع الأدوية والأغذية، حتى يكون ما في الدرجة الثانية من الأدوية في الرابعة، وما في الرابعة في الثانية"[2]، وهذا سيفيد في ما يجب أخذه بعين الاعتبار في دراسة أيّ ظاهرة

ويصرح الطبيب الرازي بأنه كان مؤلفا للعِلل مشيراً إلى المصادر معلوماته فقال:" قد ألفت في تقاسيم العلل وشرح الأعراض وأنواع العلاج من القرن إلى القدم ومن الكنانيش والمقالات على حسب الوقت وحال السؤال ما فيه بلاغ وكفاية، وبلّغْنَا في كتاب الجامع وكتاب الأقطار

[1] _أبي بكر الرازي : أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص25-26.
[2] _ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص421

من بسط الصناعتين أعني " الفلسفة والطب"، وهما جِماع القول والعمل والنهاية في طاقة البشرية بلوغها، رغبةً في نفع الناس، وتسهيلاً للمتعلمين، وتنكيباً عن أساليب الأوائل في رموزهم بالأعراض وتعميّتهم مظّان المنافع، وشواهدنا في تلك الدعوى، كتابنا الكبير في العلم الإلهي، وكتابنا في النفس، وشرح الصناعة، ومقالا تنافى شرح الأغذية وفي دفع مضارها"[1]؛ الرازي هنا يثبت لنا أنه لم يكن طبيبا فقط فقد تناول العلوم جمعاء من الفلسفة والوجود وميتافيزيقا وغيرها.

"فإني فارقت الأوائل في تسهيل ذلك وتلخيصه، وقريبه وجدّت توسعي فيه وجهدي، راجيا ثواب الله وهو عوني ولا قوة إلا به".[2]

ويشير إلى قصده من تأليفه " وإني قصدتُ في مقالة هذه الدعوة بنشر صناعة الطب إلى أنواعها الإنذارات والضمانات والتجارب التي استفدتُها من الحكماء، مؤلّفةٌ من كلامهم أو مجموعة من نُكَتهم ورموزهم، وألحقتُ بذلك طرفًا مما خيرتُه نفسي، واستدركتُه بمزاولتي، فصدّقتني فيه تجربتي، ووصلت بذلك مثالا في الأغذية...".[3]

مبادئ التي تقوم عليها صناعة الطب

من خلال ما تطرقنا إليه حول أسس تعليم الطب وكيفية علاج الأسقام عند الرازي نتوصل إلى أن الطب يقوم على مجموعة مبادئ هي:

مبدأ الحيوية PRINCIPLE OF DYNAMIC: أعتقد بأن هناك عنصر خاص حيوي غير مادي وهوالنفسي psyche وهو بمثابة الروح ينقرض بانقراض الروح.

مبدأ الأخلاط principle blends: مبنى هذا الاعتقاد على أن الأشياء مكونة من عناصر أولية أساسية هي "الحار والبارد والرطب واليابس" وإذا كانت هذه الأمزجة في تناسق وتناغم حظي الجسد بصحة جيدة وإذا حدث اختلال في هذه الأمزجة حدثت الأمراض.

[1]_ أبي بكر الرازي: سر صناعة الطب، تحقيق خالد حربي، دار الثقافة العلمية الإسكندرية، سلسلة تراثنا الفعال، ص85
[2]_أبي بكر الرازي: سر صناعة الطب، المصدر نفسه، ص86-87
[3]_أبي بكر الرازي: أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص17.

المبدأ الطبيعي Natural principle أي محاكاة الطبيعة في المعالجة، فلقد تحقق لأبقراط بالملاحظة بأنّ هناك طبائع لا تتغير ذات صفات ثابتة ولكل مرض تطور طبيعي ونضوج محدود، فمثلا يحدّق الطبيب بالمريض ليرى من سحنته الهيئة الأبقراطية المعروفة فإذا لم يجدها أعلم الأهل وإلا تقدم الطبيب من المريض وسلم عليه حتى يستأنس لذلك ثم يبدأ الفحص بالتأمل مدى استجابته للضوء ووضعية جلوسه وسؤاله، ثم يبدأ بالفحص الذي يعتمد على الجس والقرع وينتهي الفحص بمعاينة البزار Stool والبول Urine والقيء Vomiting ثم يصرف له العلاج الذي يكون أغلبه ذا أصل نباتي، وكانت الحمية تحتل مكانًا هامًا في المعالجة.[1]

المطلب الثالث: الضوابط الأخلاقية للباحث الطبيب عند أبي بكر الرازي:

لقد وضع الرازي بين أيدي كل طبيب جوهرة أخلاقية يقتاد بها فكتاب **(أخلاق الطبيب)** الذي يعتبر دستورا أخلاقيا وميثاقا طبيا يرسم أهم المبادئ التي يجب أن يتعامل بها الطبيب مع مرضاه ومع من حوله ويلخص لنا أيضا هذا الكتاب العلاقة قائمة بين الطبيب ومريضه.

الطبيب في تعامله مع مختلف الطبقات الاجتماعية:

يشير الطبيب الرازي إلى منزلة الطبيب ضِمن المجتمع، فطبقة الأغنياء كانوا أفرادها يتخذون الأطباء مخصصين لهم، ولذلك نبه الرازي تلميذه بتلك الصفة حيث يقول: " بلغني، أمتع الله بك وبالنعمة فيك أنه دعاك الأمير فلان إلى حضرته، واختصك لخدمته، معتمدا في ذلك عليك ملقيًا بأسبابه إليك، وقد أحسن الظن بك من اختصك لنفسه واعتمد عليكمن جعلك أمين روحه"[2]، فالرازي هنا يبدأ رسالته بإبراز المكانة المهمة التي يحظى بها الطبيب لدى الخاصة والعامة إلا أنه يشير إلى بعض الصعوبات التي يمكن أن يوجهها الطبيب في أداء مهمته وكيف يمكن تجاوزها حيث يقول:" أعلم أنه من أصعب الأشياء لطبيب خدمة الأمراء،

[1] _ سليمان قطاية: الطب العربي، مجلة عالم الفكر، 1979م، ص ص286-293.
[2] _أبي بكر الرازي: أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص16

ومعالجة المترفين والنساء، فإن الطبي الحر السيرة إذا اشتغل بصناعته، وحفظ الخاصة والعامة، فإنه يعيش بخير ، ويكون عليهم أميرًا، لاسيما إذا كان الملك عاميًا، بما أنني سمعت أن بعضهم أصابته علّة، فأمره طبيب بالحميّة، وهو يأباها، وقال: ما أصنع بالطبيب إذن إذا منعني المُشْتَّهى؟، وإنما أصطنعك لنفسي لآكل ما أريد، وتدفع بعلمك عني ما أكره من مضرة..."[1] يبين لنا الرازي أنه من أصعب ألوان الطب هو خدمة الإنسان وتطبيبه من العلل، فالرازي هنا يدرك أن التمريض هو الأساس الكبير للشفاء، ولهذا ليس من السهل العمل مع من لا يفقه في دواء شيئا، كما اجتمعا جُلّ الباحثين في كل زمان ومكان على شرف مهنة الطب؛ لأن موضوعها أبدان البشر التي كرمها الله على سائر الخلق.

كما لخص الرازي أخلاق الطبيب في نقاط تالية:

صيانة الطبيب نفسه: يقول الرازي:"فأول ما يجب عليك: صيانة النفس عن الاشتغال باللهو والطرب، والمواظبة على تصفح الكتب"[2]، يحث الرازي تلميذه على مداومة مطالعة الكتب وتجنب مجالس اللهو والطرب، فهو لا يخفى على أحد مدى أهمية، بل وبديهية هذه النصيحة، وذلك نظرا لأن مداومة مجالس اللهو يضع الإنسان وقته في أمور لا تعوج عليه بالنفع بقدر ما تشكل عائقا في سبيل التحصيل العلمي والزاد المعرفي، ولا ريب أن انكباب الطبيب على العلم يعود بالنفع عليه هو نفسه أولا، ثم يكون في ذلك فائدة متعدية إلى غيره من عموم الناس، كما أن الرازي يعلل اقتراحه للنصيحة المتعلقة بالتجنب مجالس اللهو ومداومة مطالعة الكتب، فأنه يكتفي بقول " فعساه أن يسألك عن شيء بغتة، ولا تحفظه، فتعسر عليك الإجابة، فيضرك ذلك عنده"[3]، لا يجب أن نفهم من هذه النصيحة أن الرازي يدعو تلميذة إلى ضرورة الاستعداد الدائم للإجابة عن كل الأسئلة التي تُلقى إليه أو ادعاءه القدرة على معالجة كل العلل، فمن البين أن هذا الأمر بعيد كل البعد عن متناول أي إنسان

[1] _ المصدر نفسه، ص18
[2] _ مصدر نفسه،ص19
[3] _ مصدر نفسه، ص20

كيفما كان، لذا يبدوا وكأن الرازي يستدرك بعد ذلك مباشرة على قوله السابق في نوع من التنبيه إلى أن الأمر عادي جدا ووارد الحدوث بين الفئة والأخرى.

ثقافة الطبيب: يشير الرازي إلى نعت عالم ما أو طبيب ما بالجهل لكونه عجز عن الإجابة في مسألة معينة ترجع أساسا إلى فساد تصور بعض العامة وجهلهم لا إلى تقصير العلماء والأطباء، وذلك نظرا لأن الكمال صفة متنافية أصلا عن الإنسان لأنه بطبعه حمل في طياته الخطأ والصواب فيقول الرازي في هذا " فإن من الأمراء والرؤساء يكون عاميًا، ومن الأكابر من يصادف أميًا فيحسبون بقلة علمهم، وكثرة جهلهم أن كل من نسب إلى العلم فهو خليق بأنْ يجيب عن كل ما يسأل من ذلك العلم، فإنه غبي بمسألة، فإنهم ينسبونه إلى الجهل، وليس يدرون أنه ربما أصاب الأخرق، وأشوى (أي الخطأ) الحاذق، وربما أشكل على العالم النحرير(بمعنى الحاذق والفطن أي العاقل) ، المسألة يجيب عنها أقل تلامذته علما وأحلهم (بمعنى أقلهم) فهما، لا أنه ليس يحفظها أو لم يقرأها، ولم يسمعها ولكن لعوز الكمال في الإنسان"[1]، بمعنى أنه قد يكون هنالك عالم من أكابر العلماء، متمكن من علمه مجيد له أصولا وفروعا، لكن قد يحدث أن يصادف شخصا من عامة الناس، ممن لا علم لهم ولا دراية، فيسأل هذا العامي ذاك العالم أو طبيب عن مسألة ما لا يجد لها ذلك الأخير جوابا، فيَحْمِلُ هذا الأمر العاميَّ، على أن ينسب ذلك العالم إلى الجهال، غير الملمين بما يشتغلون به من ضروب العلم وصنوف المعرفة، فهو في تفكيره أن كل من قرأ نوعا من العلم وشرع في فن من ذلك، فلا يجوز له نسيان شيء أو الإغفال عنه أو الخطأ فيه.[2]

فحسب الرازي أن عجز الأطباء (العلماء)، عن الجواب عن بعض المسائل لا ترجع بالضرورة إلى جهلهم أو تقصيرهم في علمهم وعملهم، بل إن مراد الأمر إلى أن إحاطة الإنسان العالم بكل الموضوعات وتفاصيل العلم من العلوم أي إحاطته بكل مسائله وفروعه، أمرٌ متعذر عن الكائن البشري المجبول على النقصان والمطبوع على عدم الكمال، إن ما

[1] _ مصدر نفسه، ص21-22
[2] _ مصدر نفسه،ص24

ينطبق على العلماء بصفة عامة ينطبق على الأطباء بصفة أخص، حيث إن من الناس مثلا من يتوهم أن من مهام الموكولة إلى الطبيب أن يكون مقدوره أبراء كل سقيم مهما كانت علته أو مرضه، فيقول الرازي في هذا الصدد " فأما الأميون والعاميون فإنهم يتوهمون، بل يعتقدون أن كل من نُسِبَ إلى علم النجوم، فإنه لا محالة يعلم الغيب، وأن من نُسِبَ إلى الطب فإنه يقدر أن يزيل كل مرض، ويشفي كل سقم"[1]، ولا يغيب عنا أن الرازي قد تعرض وعانا هو نفسه من بعض الإدعاءات من قبل عامة الناس ومن قبل العلماء بصفة خاصة وخاصة أولئك الذين اتهموه بالزندقة والكفر نتيجة تقدمه في الطب وفصل الأخلاق عن الدين، كما أنه قد أحاط علما ببعض ادعاءات العامة حول الأطباء الذين يعجزون عن معالجة بعض الأمراض. يسند الرازي هذا الرأي إلى شاهدين على أقل:

أ_ لقد كان الرازي ينفر نفورا تاما من أن تصل أعماله العلمية أو الفلسفية إلى العامة، يقول :" فحرام على من رُفع إليه هذا الكتاب (سر الأسرار في الطب والكيمياء) أن يعيره مّن ليس منّا أو من النكِر، أو يُطلِع العامة على ما فيه، أو فاسقا وسمّ نفسه بسمتنا وأدخله في عملنا لما شرحنا فيه مما ستَّرَتْهُ القدماء من الفلاسفة... ولولا علمي بانصراف أيامي دون أجلي، ومخافتي من فَوت ما آمله وأرومه لم أكن بالذي أجمع له هذا كلّه في كتاب واحد هذا الاستقصاء." ، لهذا يكون من المحتمل كره الرازي لوصول أعماله إلى بعض العامة نابعا من كونه يعرف موقف بعضهم تجاه الحكماء أو بعض الأطباء.

ب_ أما الشاهد الثاني الذي يتمثل في طبيعة بعض الأعمال التي كتبها الرازي بخصوص مهنة الطبيب، حيث نجده مثلا قد كتب كتابًا من قبيل "خطأ غرض الطبيب" و" رسالة الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل، وأن ذلك ليس في الواسع " لذا يلوح أنه من المستبعد أن يكتب الرازي هذين العملين دون أن تثار هذه المسائل في المحيط الذي اشتغل فيه، أو على الأقل دون أن يصل إليه مسامعه صدى منها بكيفية من

[1] _ مصدر نفسه، ص24

كيفيات، رغم ذلكن سيكون من الصعوبة بمكان إثبات هذا الرأي بشكل قاطع، وذلك نظرا لأنه ليس في متناول يدنا لا مخطوط الكتاب ولا مخطوط الرسالة.[1]

ولكي يدفع الرازي عن الطبيب لوم بعض العامة، بخصوص ما لا يقدر على علاجه بحكم إنسانية المجبولة على النقص وعدم الكمال، نجده يلجأ إلى تقسيم الأمراض إلى ثلاثة أنواع نذكرها :

أ_ العلة واجبة البرء: يتمثل عليها بصداع الرأس الناتج عن ضربة الشمس أو الحمى التي قد تعتري كثيرا من الناس في أكثر الأحيان

ب_ العلة الجائزة البرء: وهي تلك العلل التي يمكن العلاج منها، ويضرب مثالا عليها بالحمى التي ليست من "جنس الحميات الخبيثة"، ويمكن علاج هذا النوع، حسب الرازي، إذا اتبعت في ذلك الطرق الصحيحة باتخاذ الأسباب المفيدة، أما في حالة تركها دونما علاج فإما أن يشفى منها المريض من تلقاء نفسه أو أن تزداد حاله سوءًا بسبب استفحال أمرها عليه.

ج_ علة مستحيلة البرء: والمقصود بهذا النوع تلك الأمراض التي لا يفلح معها تدبير طبيب ولا مفعول دواء، كالسرطان والجذام والبرص.[2]

هكذا، إذا أدرك المرء أن هذا هو واقع الحال، فسيعذر الطبيب في حالة عدم قدرته على علاج مرض الأمراض، ولئن أبي المرء غير هذا، فإنه بذلك يكلف الطبيب ما لا طاقة له به ولا قدرة له عليه، بناءًا على ذلك نجد الرازي يختم هذه الفقرة بالقول الآتي: " فالطبيب في أكثر الأمر ملوم، وعلى أي حال، وأما فيما يمكنه علاجه فلطول وقت المعالجة، وأما فيما لا يمكنه العلاج فلعجزه عن ذلك."[3]، بمعنى أنه برغم من إشارته إلى هذه الأنواع من

[1]_عبد العزيز النقر: جوانب من أخلاقيات الممارسة الطبية في التراث العلمي العربي أبو بكر الرازي، مركز ابن لبنا المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، مغرب.
[2]_أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص25
[3]_ مصدر نفسه، ص27

العلل إلا أنه مدرك أن عامة الناس لا تنفك عن لوم الطبيب في أغلب الأحيان، سواء كان ذلك بسبب طول مدة العلاج، أو أن ذاك المرض هو مما يتعذر على الطبيب معالجته.

إذن فقد كانت بعض هذه الأفكار السالفة بمثابة نوع من الدفاع عن بعض حقوق الطبيب(كأن لا يُلام على ما هو فوق طاقته).

واجبات الطبيب إزاء مرضاه:

اقتصر الرازي هنا ثلاث واجبات الملقاة على عاتق المريض اتجاه مرضاه نذكرها:

أ_ الرفق بالناس: يقول الرازي: "واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس"[1]، بمعنى أنه على الطبيب أن يكون رفيقا بمرضاه أثناء علاجه إياهم، لا شك أن مفعول العلاج المُرفق بالمعاملة الحسنة يكون أبلغ أثر في تحسن حال المريض من الاقتصار على المعالجة وحدها وربما قد يكون الرازي قد لاحظ مدى تأثير المعاملة الجيدة على بعض المرضى، سواء تأثيرها على الجانب النفسي أو حتى على الجانب البدني، حيث يمكن من جهة أن تخفف عنهم شيئا من وطأة آلام المرض، ويمكنها من ناحية أخرى أن تسهم في علاج أجسامهم السقيمة، وقد قلنا أن الرازي "ربما قد لا حظ تأثير المعاملة الحسنة"، نظر وكما تكلما سابقا أنه كان طبيبا ممارسا لهذه المهنة بالبيمارستان العضدي والبيمارستان الري، وبالتالي، فلا ريب أن ممارسته للطب قد أكسبته خبرة واسعة ودراية عميقة ليس من الناحية العلمية فحسب، بل من الناحية الأخلاقية السلوكية أيضا. وهذه الصفة تحدث عليها الرازي أيضا في كتابه الطب الروحاني حيث يقول " إن السيرة التي بها سار وعليها مضى أفاضل الفلاسفة، هي بالقول المجمل: معاملة الناس بالعدل، والأخذ عليهم من ذلك بالفضل، واستشعار العفة والرحمة، والنصح الكل والاجتهاد في نفع الكل، إلا من بدا منهم بالجور والظلم".[2]

[1] _ مصدر نفسه، ص27

[2] _ عبد العزيز النقر، مرجع سابق.

ب_ حفظ سر المريض: إن هذا الأخير قد يلجأ في نظر الرازي إلى الحديث عن الأمور شخصية يكتمها عن أقرب الناس إليه لكنه قد يحكيها للطبيب اضطرارا بحكم ضرورة التعرف على بعض الأمور التي قد تعينه في دفع ما ألم بمريضه من داء، لذا وجب على الطبيب من الناحية الأخلاقية، أن لا يفشي تلك الأسرار لأحد حتى لو كان ولد المريض أو زوجته أو أباه أو أمه، فيقول لهذا الصدد: " واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس، حافظا لغيبهم، كتوما لأسرارهم، لا سيما أسرار مخدومة، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به، مثل أبيه وأمه وولده، وإنما يكتمونه خواصهم، ويفشونه إلى الطبيب ضرورة...".[1]

ت_ حفظ الطبيب لطرفه: بمعنى على الطبيب أن يغض بصره عن الأمور التي لا يجوز له مد بصره إليها، خصوصا في علاجه للنساء يقول في هذا الشأن: " إذا أرد علاجهن أن يقتصد الموضع الذي فيه معنى العلاج، ويترك إجالة عينه إلى سائر بدنها"[2]، فإن الإخلال بمثل هذه الواجبات لا يعبر فقط عن الانحطاط الأخلاقي لطبيب أثناء ممارسته لمهنته، بل إنه تؤدي به، حسب الرازي إلى حط مكانته لدى الآخرين حيث يصبح محل ازدراء وتبخيس من طرف العامة والخاصة، وبذلك فهو يحرم نفسه شرف المكانة الرفيعة التي تبوأها بين هؤلاء كما يحرم غيره إمكانية الاستفادة من علمه وعمله.

واجبات المريض اتجاه الطبيب: إذا كان للمريض على الطبيب واجبات، فإن هذا الأخير كذلك على المريض بعض الواجبات التي يأتي الرازي على ذكرها مباشرة بعد التطرق لواجبات الطبيب تجاه مريضه، ومن بينها مثلا: – إن الطبيب هو احرص الناس على صحة مخدومه سواء أكان سيدا أو أميرًا أو كان مريضا بصفة عامة، وأسعدهم بسلامة مريضه وشفائه، لما في ذلك من تعبير عن نجاحه في مهنته كطبيب يرعى صحة الناس، فيقول: " ينبغي لمن يختص المتطبب لنفسه، من الملوك والأكابر والسوقة، أن يبالغ في

[1]_ أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص27.
[2]_ مصدر نفسه، ص29.

تطبيب قلبه بلطف الكلام، وأن يرفعه فوق جميع مجلسه من خدمه وغيرهم، فأن هم إلا خادم الجسم، ومتطبب خادم الروح"[1]، إن الرازي يحثُ على ضرورة معاملة الطبيب بالحسنى وإكرامه من طرف مخدومه فمن شأنه أن يحثه على الاجتهاد أكثر في علمه وعمله خدمة لذلك المخدوم من خلال السهر على حفظ صحته عليه، ومعالجته من أمراضه بأقصى وُسعه، فيقتصر الرازي هنا على حالة خاصة وهي تلك المتعلقة بخدمة الطبيب لأمير أو أحد من أصحاب الجاه، حيث لا يتطرق مثلا إلى الكيفية التي يجب أن يُعامل بها عامة الناس الطبيب، فيشر الرازي إلى أنه يجب على عامة الناس وخاصتهم أن يكرموا الطبيب.

نهي الطبيب عن المنكر: يؤكد الرازي بهذا الخصوص، أن على الطبيب أن يتصف دائما بالتواضع مهما علت رتبته أو ارتفع شأنه لدى الخاصة والعامة، يقول هناك " واعلم يا بني أن من المتطببين من يتكبر على الناس، لا سيما إذا اختصه ملك أو رئيس، وقد قال جالينوس: " رأيت من المتطببين من إذا دخل الملوك، فبسطوه تكبر على العامة وحرمهم العلاج، وغلظ لهم القول، وبسر في وجوههم..."[2]، فالرازي هنا يحاول إصلاح نفوس الأطباء قبل أن يبدأ هؤلاء بإصلاح أجسام المرضى.

وجوب علاج الفقراء: "وينبغي لطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء وهكذا يجب علينا أن نقتفي السنة التي سنها الحكيم"[3]، يحث الرازي بخصوص هذا الشأن على وجوب معالجة المريض فقد كانت رغبته في علاج الفقراء أشد من الأغنياء، فالرازي يوصي تلميذه خاصة والطبيب عامة على أن يبقى دائما يعامل الناس بالحسنى ويكون مترفقا بهم، وباسطا يده لعلاج كل من يحتاج ذلك، سوء أكان غنيا أم فقير، فما كان لطبيب فاضل أن يحرم مريضا من العلاج بسبب فقره أو صغر مكانته بين الناس.

التوكل على الله: رغم ما عرف عن الرازيمن اجتهاد علمي واعتماده على التجربة وممارسة الطبيتين، فإنه لم يكن يعتمد بشكل مطلق على هذه الأمور، فهي مجرد أسباب لابد

[1] _ مصدر نفسه، ص31.
[2] _ مصدر، نفسه، ص35
[3] _ مصدر نفسه، ص37

من اتخاذها طالبا للعلاج، ودفعا للأمراض، بالمقابل، يرى الرازي أنه رغم اتخاذ كل الأسباب الضرورية فإن مسألة الشفاء تبقى أمرا بيد الله تعالى، فيقول: "ويتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى، ويتوقع البرء منه، ولا يحتسب قوته وعلمه، ويعتمد في كل أموره عليه، فإذا فعل ذلك ونظر إلى نفسه وقوته في الصناعة وحذقه، حرمه الله البرء"[1]، من الواضح أن الرازي يؤمن بأن الشفاء ليس أمر بيد الطبيب، فهذا الأخير ملزم باتخاذ الأسباب الضرورية لذلك، لكن نجاح الأمر بحصول الشفاء، أمرا موكول إلى البارئ عز وجل، ويرى أيضا أن الأسباب نفسها ليست إلا توفيقا من الله عز وجل للطبيب.

نهي الطبيب من العجب (التكبر): "رأيت من المتطببين من إذا عالج مريضا شديد المرض فيرأ على يده، دخله عند ذلك عجب، وكان كلامه كلام الجبارين، فإذا كان كذلك فلا كان، ولا وفق، ولا سدد، وإنما نهى الحكيم عن هذه الخصال"[2]، بمعنى أنه لا ينبغي للطبيب أن يداخله الغرور والتكبر والاعتداد بالنفس بسب نجاحه في علاج مريض من المرضى، فهذه الصفة لم يمكن أن يتصف بها حكيم عاقل.

النهي عن كثرة الكلام: يتطرق الرازيإلى بعضالمسائل المتعلقة بالآداب الاجتماعية التي يستحسن على الطبيب التحلي بها كدعوة التلميذ ألا يكثر من الكلام، خاصة في مجالس العلم، وذلك لما يحدث من جدال وشجار وخلاف إلا إذا كان هو البادئ به أو بدأ بذلك أحد جُلَسَائهِ، يقول الرازي "وإياك وكثرة الكلام في جلسة هذا العلم إلا إذا ابتدأك هو".

احترام مشاعر المريض: يرى الرازي أنه يجب مراعاة مشاعر المريض خاصة في تناوله الوجبات الغذائية فلا يمكن أن يقول له بأنه أثناء تناوله ذلك الأكل بأنه يضر صحته، إلا في الحالات القصوى، كما يدعوه أيضا إلى مسألة التدرج في تغير بعض العادات الخاصة بمأكل أو مشرب هذا الشخص، أو أي شخص بصفة عامة، الذي يقوم على رعايته الطبية، ولا شك في أن هذه الطريقة تكون أبلغ أثرا على الشخص وأكثر فعالية من غيرها،

[1] _ مصدر نفسه، ص38-39
[2] _ مصدر نفسه، ص40

فالنفس غالبا ما تقاوم التخلي عما تحب وتشتهي من أصناف الطعام والشراب، لذا يمكن لطبيب أن يحتال في دفع الشخص غلى ترك ما كان منها مضرا بصحته وذلك من خلال إتباع بعض الخطوات نذكر منها:

_ إتباع التدرج في الأكل ومحاولة نصح الشخص بغذاء يكون فيه نوعا من الإصلاح لما تناوله بالأمس، حيث يقول الرازي: " وينبغي أن تأمر له كل يوم أن يتخذ له من الغذاء ما تعلم أنه يكون مصلحا لما تناوله في أمسه من أغذية دافعا لما ينتظره من مضرته، ومل في ذلك إلى ما يشتهيه ميلانا ما، فإن الطعام المشتهي أوفق للأصحاء والمرضى مما لا يشتهي وإن كان أردأ، وقدر شرابه وكيفيته وكميته وترتيبه"[1]، يتبين لنا أن الرازي لا يكتفي بأهمية العلاج المادي، من الغذاء والدواء، بل إنه يعتمد أيضا على بعض الجوانب النفسية في تدبير صحة المرء، ذلك أنه يعي مدى صعوبة إقلاع المرء عن أكل ما تشتهيه نفسه حتى ولو كان في ذلك مضرة له.

_فالرازي لا ينحصر اعتماده على الجانب النفسي في هذه النقطة فحسب، بل إنه يدعو تلميذه إلى أهمية الاعتماد على الأطعمة التي يشتهيها هذا الشخص أكثر من غيرها، بمعنى أنه ينبغي على الطبيب أن يقترح على مريضه نوعا من الأطعمة الأشربة تكون تميل لها نفسه رغم أن فائدتها قد تكون أقل من بعض الأطعمة الأخرى التي لا يشتهيها ولا يحبها فيقول: "... فإن الطعام المشتهى أوفق لأصحاء والمرضى مما يشتهي وإن كان أردأ...".[2]

نهى الرازي عن شرب الطبيب للخمر: لا يغفل الرازي عن تذكير تلميذه بتجنب بعض الأمور التي من شأنها أن تؤدي إلى أخطاء طبية معينة أو أن تضر بمكانته لدى من يعتمد بصحته – الأمير–، يخص بالذكر منها ضرورة تجنبه "الإسراف في الشرب الخمر"، فالخمر يضيع العقل وبالتالي يضيع العلم، فالطبيب عند شربه للخمر قد يؤدي به، إلى حالة سُكْرْ، وبتالي قد يقع في خطأ ما أثناء معالجته لذلك الشخص مما يعسر معه تدارك نتائج ذلك

[1] _ مصدر نفسه، ص41
[2] _ مصدر نفسه، ص41

الخطأ، كما أن هنالك احتمال أن يطلبه الأمير عند حاجته له لعلاج علة ألمت به فجأة فلا يجده نظرا لأن الطبيب يكون في تلك اللحظة في حالة السِكَرْ، فيكون هذا الأمر مدعاة إلى استصغار الطبيب، مما يؤدي بدوره إلى حط مكانته ومنزلته لدى الأمير، فيقول الرازي في هذا الشأن: " وإياك والمعاقرة (الإدمان) الشراب، إذا كنت معينا لخدمة الملوك والأكابر، فإنه ربما يحتاج إليك في وقت فتصادف سكران، فتصغر في عينيه، ويقع في علاجك من الخطأ، ما لم يمكنك تداركه...".[1]

ملازمة الطبيب المريض بعد الدواء: يعطى الرازي تلميذه بعض التوجهات العامة المرتبطة بالممارسة الطبية من أجل أن يكون أكثر نجاعة وإتقانا فيشرط عليه ما يلي : على الطبيب أن يلازم الشخص المتعهد بتدبير صحته، ليس أثناء علته ومرضه فحسب، بل أيضا في حالة صحته وسلامته، وترجع أهمية هذه المسألة في نظر الرازي إلى أن هذا الأمر يفيد الطبيب في معرفة أحوال ذلك الشخص أثناء صحته والتعرف على عاداته في المأكل والمشرب، مما يفيده أثناء مرضه في معالجته من خلال تقديم الأدوية أو التوجيهات المفيدة التي تُأْخذ في الحسبان كل تلك الأمور الشخصية التي تختلف من شخص لآخر، ذلك أن وصفة علاجية ما قد تصلح لشخص معين لكنها قد لا تصلح لشخص أخر، فمثلا قد يكون هذا الأخير يعاني من حساسية اتجاه مكون من مكونات الدواء، كما أنه من المُستحسن للطبيب أن يكثر من ملاقاة الشخص الذي يرعاه صحيًا، حيث أن الإكثار من الملاقاة كفيلة بأن تكشف للمرء عن كثير من الطبائع وعادات المريض، وهو ما يكون مفيدا لطبيب بشكل كبير في علاج الشخص، يقول الرازي: " ويحتاج في صناعة الطب إلى طول الملاقاة؛ فإن من صاحب إنسانا سنة، أعلم لطبيعته من صاحبه شهرا".[2]

يدعو الرازي إلى أهمية الجمع بين ضبط أصول صناعة الطب والتجربة دون الاقتصار على أحدهما فقط، لهذا لا ينبغي أبدا الاستناد إلى نجاح بعضهم في معالجة نفسهم أو

[1] _ مصدر نفسه، ص65.
[2] _ مصدر نفسه، ص76.

غيرهم، دون التمكن من الصنعة، فهم يكتفون فقط على ما وقفوا عليه بتجربتهم، دون أن يطالعوا كتب الطب أو يتلقوا هذه الصنعة من أطباء متمكنين من علمهم ومهنتهم، أما نجاح هؤلاء فهو راجع إلى أساسا، حسب الرازي إلى "الاتفاق بمعنى الصدفة" فيقول: " ودع ما يهذي به جُهال العامة أن فلانا قد وقعت له تجربة في غير علم يرجع إليه؛ فإن ذلك لا يكون، ولو كان من أطول الناس عمرا، وما نفع له من علاج موافق، فهو من حسن الاتفاق".[1]

العلم وحده لا يغني الطبيب دون خبرة أو تجربة، إذْ لا يكفي أن يأخذ عامة الناس كتابا في الطب ليعمدوا من خلاله إلى معالجة أنفسهم أو غيرهم، فقد تكون عواقب أمرٍ كهذا وخيمة وتعود بضرر على الناس، وبالتالي فهذه الكتب لم توضع ليتم اللجوء إليها بشكل مباشرٍ وأخذ ما فيها كما هو وتطبيقه على صحة الناس، فيقول الرازي معلقا: "فأعلى درجات هؤلاء الذين ليسوا يرجعون إلى أصول الصناعة (أي الطب) أنهم ينظرون في الكتب ويستعملون منها العلاجات، وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها، ليست هي أشياء تستعمل بأعيانها، بل هي مقالات جعلت ليحتذى عليها، وتعلم الصناعة منها"[2]، وليس في عصر الرازي فقط من كانوا يعانون من ادعاء الطب والتطبيب فنحن في عصرنا الحالي كثيرا ما نسمع عن الأطباء الذين يستطيعون أن يعالجوا الكثير من الأمراض المستعصية ويستخدمون في ذلك الكثير من وسائل الأعلام المسموعة والمرئية، وكثيرا منهم من يذهبون إلى ادعاء قدرتهم على الشفاء المريض من دون الفحص والجراحة فهؤلاء أيضا يعتبرون من أدعياء الطب الذي حذرنا منهم الرازي.

تواضع الطبيب: رغم إشارة الرازي لضرورة تحلي الطبيب بخلق التواضع سابقا، إلا أنه يعود لتذكير بهذا الأمر، حيث يرى أن التواضع يضفي على من اتسم به "زينة وجمالا"، فيقول: " وأعلم أن التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال..."[3]، ومن مظاهر هذا التواضع

[1] _ مصدر نفسه، ص77.
[2] _ مصدر نفسه، ص77
[3] _مصدر نفسه، ص84

أن يحرص الطبيب على اختيار كلامه حيث يؤثر "جيده ولينه" أي لباقة في الكلام، متجنبا في الآن نفسه لكل أنواع "الفظاظة والغلظة "، في معاملته الناس عموما، والمرضى بصفة أخص.

لا كهانة في الطب: يحذر الرازي تلميذه من أن يُلْبِسَ عليه بعض المدعين فيحملونه على ادعاء أمور لا تدخل في صناعة الطب ولا طاقة للطبيب بها نظرا لأنها مجرد ادعاءات يزعمها بعض الدجالين ، ويسميهم الرازي "بالممخرقون"، كزعمهم إمكانية معرفتهم ما بالمريض بمجرد النظر إليه، يقول " إياك أن يغلطك الممخرقون، الممهرون على الناس، بحضرة مخدومك، فيكلفونك استخراج أشياء ليست من صناعة الطب، مما يعتادها الكهنة..."[1]، لقد كان الرازي ملما بكثير من الحيل هؤلاء، حيث نجده يذكر بعض الخدع والحيل، ويرجع ذلك إلى أنه هو نفسه كان يتعاطى في حداثة سنه مثل هذه الأمور، فيقول: "وإنما صرت بحيث لا يخفى علي شيءٌ من هذه الأمور؛ لأني كنت في حداثتي أتعاجل العزائم والمخاريق؛ فصار لا يخفى عليّ أشر وجوهها".[2]

يعدد الرازي بعض مميزات مهنة الطب ويلجأ الرازي إلى هذه النقطة كنوع من التحفيز لتلميذه وتشجيعه على الاجتهاد في مهنته استزادة في حبها واقتناعا بها، حيث يجمل هذه المميزات في خمس نقاط وهي:

_إجماع الكل على أهمية وفضل هذه الصنعة.

_ اعتراف عامة الناس وخاصتهم بالحاجة إلى الأطباء.

_ اجتهاد الأطباء في الكشف عما هو كامن وراء ما يظهر من علل والأمراض.

_ قصد الأطباء الدائم لإدخال السرور على غيرهم من الأصحاء والمرضى.

[1] _ مصدر نفسه، ص89

[2] _ مصدر نفسه، ص90.

_ اشتقاق الاسم من "أسماء الله تعالى" لم يوضح الرازي هذه النقطة الأخيرة، ومن المحتمل أن المقصود هو اسم الله "الشافي" لأن الشفاء هو هدف الأطباء المتوخى من العلاج المرضى.[1]

المطلب الرابع: مساهمة الطب في الحفاظ على مقاصد الشريعة:

يعد الطب من العلوم التي تكشف عن أحوال الناس، فالطب بمثابة النافذة المطلة على أحوال الأشخاص الداخلية والخارجية فإذا كانت مجالات الحياة كلها تحتاج إلى الأخلاق فإن العمل الطبي في أصله وجوهره عمل أخلاقي، لذلك نجد أن الأخلاق الإسلامية تتمحور حول منظومة المقاصد الشريعة التي تتمثل في الكليات أو الضروريات الخمس وذلك على النحو التالي:

1/ الأهداف الأخلاق الطبية:

أ_ حفظ الدين: هو ما يتعلق بمجال حفظ الصحة الجسدية من جهة والعقلية من جهة أخرى ، فحفظ الدين مرتبط بالعبادة التي يسعى كل إنسان لتحقيقها والحفاظ عليها.

ولذلك نجد أن العلاج الطبي يعد المساهم الرئيسي في العبادات، وذلك بهدف توفير الصحة الجيدة مما يعطي للإنسان العابد الطاقة الجسدية والعقلية اللازمة للقيام بمسؤوليات العبادات، والعبادات الأساسية التي تعتمد على الصحة والطاقة الجسدية هي الصلاة، والصوم، والحج... وغيرها من العبادات المطلوبة.[2]

فإن توفرت في الإنسان الصحة الكاملة فإنه يقوم بواجباته ووظائفه العادية على أكمل وجه.

أما بالنسبة للإنسان الضعيف فإن ليس له القدرة أو المقدرة على أداء واجباته بشكل سليم وتام، فالتوازن العقلي هنا يعتبر هام جدا، وذلك بهدف الفهم الصحيح للعقيدة الصحية

[1] _عبد العزيز نقر، مرجع سابق.
[2] _ جنان يساري عبد العزيز برغوث: الممارسة الطبية في ضوء منظومة مقاصد الشريعة، ص366.

فالعقل كما قال عليه الرازي بأنه عطية إلهية وجوهر استفاقة الإنسان من الانجرافات الخاطئة، كونها العقيدة هي الركيزة الأساسية والقاعدة الصحيحة للدين[1]. فالمقصود هنا أن الأشخاص الذين يطبقون الواجبات المفروضة عليهم في الحياة تكون لديهم منزلة في الآخرة وذلك فضل الله عز وجل على عباده.

ب_حفظ الصحة: إن علم الطب هو علم يتعرف من خلاله على أحوال نفس الإنسان وبدنه ويأخذ بعد ذلك التدابير الوقائية للحفاظ على صحته.[2]

لكن هذا العلم لا يمكنه أن يؤجل وقت وفاة الإنسان لأن ذلك مقدر من الله هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الطب يحافظ على أفضل وأرقى مستويات الصحة، فهذا الأخير يساهم في الحفاظ على حياة الإنسان ومحاولة إبقاءها على قيد الحياة، أي بمعنى ضمان صيرورة الحياة ولو لفترة مؤقت، وذلك من خلال محافظة على الوظائف الفيزيولوجية للجسم بشكل جيد وجديد.

كما أنه يعمل على التخلص من المؤثرات المرضية التي تفتك جسم الإنسان، وذلك إما أن يكون عن طريق الوقاية أو العلاج، أو عن طريق إعادة تأهيل جسم بجسم شخص أخر(كزراعة الأعضاء).[3]

فالطب العربي يحدد مجموعة من وصايا المتعلقة بالعلاج، فمن خلالها نستطيع تجاوز المرض، لذلك نجد إن الرازي لم يبخل علينا، فقد قدما لنا جملة من توصيات العلاجية، سواء من ناحية النظام الغذائي أو معالجة المرض بالدواء الكيميائي.

ت_ حفظ النفس: "النفس محفوظة من التعدي عليها"؛ إن النفس من بين الصفات التي أوصى بها الله عز وجل عبده، كونه هو الذي أودع الروح في جسم الإنسان، لذلك فقد جاءت النفس في المرتبة الثانية بعد نشر الدين الإسلامي، فالله حرم في جميع الأديان قتل

[1]_ محمد عيد شبير: الأخلاقيات المتعلقة بمهنة التحاليل الطب،(د،ن)،(د،ط)، 2004، ص7

[2]_ ابن سينا: القانون في الطب، الجزء1، مرجع سابق، ص13

[3]_سفيان حمودة أخلاقيات مزاولة المهنة الطبية من وجهة نظر المقاصد الشرعية الإسلامية، الجمعية الطبية فلسفية، (د،ط)، 2005 وجنان يساري مرجع سابق، ص366

النفس بغير حق، وحث في لحفاظ عليها، وقد شرع أشد التشريع وتنفيذ العقوبة لمن لا يحافظ على نفسه، كما أنه شدد على حرمتها، وفرض العديد من العقوبات على كل من يتجاوز هذا الحق سواء بحق نفسه أو بحق غيره.[1]

فالله في كتابه العزيز قال:" **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَم الله إلاّ بالحَقْ.**"[2]

ويكاد هذا المقصد أن يكون أهم المقاصد الشرعية من حيث التأثير في الأخلاق الطبية في الإسلام، هذا هو المقصد الأساسي للطب، فالطب لا يمنع أو يؤجل الموت، لأن الموت بيد الله وحده، لكن الطب وكما قنا سابقا يحاول المحافظة على جودة العالية للحياة حتى ميقات الموت، وذلك من خلال الحفاظ على الوظائف الجسدية.[3]

ث_ **حفظ العقل:** إن العقل نعمة فضل بها الله الإنسان عن سائر المخلوقات فالرازي يقول عن العقل "إن البارئ عز أسمه، إنما أعطانا العقل لننال به ونبلغ به"[4]، فهو معجزة إلهية خص بها الإنسان عن كافة المخلوقات الحية.

فقد خص كبار الأساتذة والعقلاء، وأهم المفكرين وخاصة الطلاب العلم الذين استخدموا، هذه المعجزة استخداما أمثلا في جل المواضيع والمشاكل المتعلقة بشخصية الفرد وذلك في العديد من المجالات، بحيث تعود بالفائدة عليه وعلى غيره.[5]

فلطب دور مهم جدا في هذا الخصوص، فإنه إذا وجد الطبيب مريضا يعاني من علة في بدنه، فإن هذه العلة قد تأثر على المريض وتضغط عليه فيظهر عليه نوع من الاضطرابات كالقلق والتوتر والخوف، ولا يتوقف به الحال هنا فقط بل قد ينتج عليه خلل في الوظائف العقلية؛ وهذا كله نتيجة تراكم الأمراض في جسم واحد، فالقلق والتوتر المستمر يذهب العقل المريض فهو يبقى دائما تحت أزمات الخوف.

---

[1]_ عيسى الجويجلي: مختصر تاريخ وأخلاقيات المهن الصحية، مرجع سابق، ص97.
[2]_ سورة الإسراء، الأية33،
[3]_ محمد عبد شبير: مرجع سابق، ص10.
[4]_ أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، مصدر سابق، ص35.
[5]_ عيسى علي الجويجلي: مرجع سابق، ص98.

إلا أنه يمكن أن يزول هذا المرض بزوال العلة الرئيسية له أو المسببة له هذه من ناحية العادية، أما من الناحية الأخرى فيمكن معالجته بعلاج الحالات العصبية التي تعمل على تهدئة المريض وتمكن أيضا من الحفاظ على بعض وظائفه النفسية والإرادية، وهذا راجع إلى فضل الجسم السليم؛ فجسم شخص المريض له قابلية لردع والتصدي للأمراض الخارجية وذلك بفضل الوظائف العقلية والنفسية للشخص، فكلما كانت وظائفه سليمة وقادرة على التجاوز كلما زال المرض وبرْ المريض.[1]

فمعالجة الإدمان على الكحول والإدمان على العقاقير المختلفة بإمكانها أن تردع وتمنع حدوث العديد من الاضطرابات السلوكية للشخص.

خ_ حفظ النسل: فقد اهتم العديدمن الأطباء وأولوا اهتمامهم بهذه الفئة، وأوصوا برعاية الدائمة لهم والحفاظ على صحتهم التي تعد أساس صحي لنشأتهم نشأة سليمة وكاملة خالية من أي خلل يَتَعَلَلُ جسم الطفل إلى غاية بلوغه فترة البلوغ التام، بمعنى تولي الأطفال وتتبع صحته الجسمية والنفسية إلى حد بلوغه السن المحدود.[2]

فموضوع حفظ النسب الذي يعد ركيزة المجتمع أساسية في بناء المجتمعات وتماسك الأفراد، وبالتالي يمكن ربطهم رباطا وثيقا فهذه الأخيرة تعد من روابط أسرية الحقيقية، لا يمكن أن تتلاشى مع مرور الوقت فهي تضمن بقاء أعضاء ذلك المجتمع، وكل من ينتمي إلى هذه المجموعة يطلق عليه بالنسب الشرعي الصحيح[3]

ج_ حفظ المال: يساهم الطب في حفظ المال، حيث إن أموال أي مجتمع تعتمد على القدرة الإنتاجية التي يقوم بها المواطنون الأصحاء، وبالتالي فإن المحافظة على صحة الأجيال وعلاج أي أمراض يضمن الحفاظ على الأموال، ونجد أن المجتمعات ذات الصحة العامة المتدنية اقل إنتاجا من المجتمعات ذات صحة العامة الجيدة.

[1]_ حنان ساري: مرجع سابق، ص367.
[2]_ عيسى الجويجلى: مرجع سابق، ص95.
[3]_ محمد يوسف دو الكفل، علي علي ساجد: نظرة في مقاصد الشريعة للطب الوقائي في سورة المائدة، ص177.

لـذلك يجـب مراعـاة العديـد مـن الظـروف الماديـة أو المعنويـة للمـرض كعـدم إثقـالهم بالتكاليف العلاج المختلفة، والعمل على تسهيل وتخفيف بعض الأمور كتسهيل عملية التنقل بين المستشفيات والعيادات بإجراء بعض الفحوصات وتحاليل الطبية والأشعة الطبية، بمبالغ تكون أقل تكلفة.[1]

2/الأسس في الممارسة الطبية (قواعد الشريعة):

أ_ قاعدة النية: هي أولى الأسس وتسمى "بالقصد"وتظم تحت عنوانها حل للكثير من المعضـلات الطبية التي تواجه الطبيب خـلال ممارسته والتي يمكن الحكم عليها من خـلال النية أو القصد، على اعتبار أن هذه" الأمور بمقاصدها"، ولهذا يستدعي لطبيب أن يستنير بضميره، لأن هنالك الكثير من الإجراءات والممارسات الطبية التي تخفى عن أعين الناس، فمثلا قد يتخذ الطبيب قرارا بشأن مريضه، قد يكون في ظاهره أمرا مقبولا ومرضيا، إلا أن في نيته قصدٌ أخر ونية مختلفة تماما عما هو ظاهر.

فأساس العمل النية وليس المعنى الحرفي أو اللفظي للكلمة أو موضوع(المقاصد والمعاني لا ألفاظ والمباني)

وضمن هذا المبدأ هنالك قاعدة تقول "بأن الوسائل لها حكم المقاصد"[2]، بمعنى أن الأعمال الطبية إذا تمت بوسائل غير أخلاقية فهي عديمة الفائدة.

ب_ قاعدة اليقين: إن الطب الحديث لم يستطع بلوغ المعايير الدقيقة لليقين والتأكد من التشخيص والعلاج، تلك المعايير التي حددتها القوانين والأنظمة المعمول بها.

فالممارسة الطبية تعتمد في أغلب الأحيان على غلبة الظن، فلا يمكن اتخاذ قرار لمجرد الظن أو الشك أو التردد، كما أنه لا وجود لليقين دون أو التأكد دون وجود الظن أو الشك أو التردد في المفهوم الطبي.

[1] _حنان ساري: مرجع سابق، ص368
[2] محمد عيد شبير: مرجع سابق، ص11

-إن غلبة الظن تكون حينما يوجد دليلا ظنيا لخيار دون الآخر، فالظن هو رغبة لخيار ما دون وجود دليل كافٍ على ذلك الخيار.

-أما الشك فهو دليل على وجود خيارين متساويين.

إن المعالجات التجريبية اليوم تجرى دون التأكد من نتائجها، وفي كثير من الأحيان يكون العلاج مبنيا على التشخيص الافتراضي، وقد تكون المعالجة عرضية دون العثور على مسبب للمرض.[1]

وفي هذا الخصوص أن أبي بكر الرازي الذي اتخذ مسلكا من أرقى مسالك العلم، وذلك راجع لقيامه على الملاحظة والتجربة والاستنتاج، فالرازي يرى بخصوص المعالجة الطبية التي تكون قائمة على جانبين النظري والتطبيقي، إلا أنها عند رجوع إلى اختيار جانبا من هذين لمعالجة المريض فيرى الرازي وجوب تغليب التطبيقي القائم على التجربة الجانب النظري القائم على الملاحظة، فهذه الفكرة تعتبر الآن قانون من قوانين العلم بصفة عامة والطب بصفة خاصة فيقول في هذا النظر" عندما تكون الواقعة التي تواجهنا متعارضة والنظرية السائدة يجب قبول الواقعة، حتى وإن أخذ الجميع بنظرية تأييدًا لمشاهير والعلماء..."[2]، بمعنى أنه ليس لعالم مشهور أو غير مشهور أن يقرر نظرية تتعارض مع المشاهد الفعلية والتجربة الحقيقية وواقعة الحادثة، بل تقدم الملاحظة والتجربة؛ وبذلك يبنى الاستنتاج على ضوء الحقائق لا الافتراضات الجدلية.

ت_ قاعدة الضرر: من المعروف بأن المداخلات الطبية تهدف إلى إزالة الضرر وحدوث الشفاء، وعلى الطبيب أن لا يحدث ضررا للمريض، وعلى الطبيب أن يحدث ضررا للمريض خلال عمله عملا بحديث رسول صلى الله عليه وسلم "لا ضرر ولا ضرار" بل من واجبه تفادي الضرر قدر الإمكان فالضرر يدفع بقدر الإمكان.

[1] مرجع نفسه، ص11

[2] _ ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، مصدر سابق، ص77-78.

والضرر عند حدوثه يفترض به أن يكون حديث المنشأ ، وهو لا يعالج بوسيلة تؤدي إلى ضرر أخر يماثل حجم الضرر الأول ، "فإن الضرر لا يزول بمثله".

ومن هذا النطق فإن عند توقع حدوث تأثير جانبي للعلاج أو مداخلة ما فإننا ننضر هل الضرر فيها بنفس حجم الفائدة؟ فإن كانت كذلك فإننا نتبع مبدأ الأولوية في تجنب الأذى عن الفائدة، أما إن غلبت الفائدة على الضرر فإن الفائدة هي أولى.

في بعض الأحيان يواجه الأطباء معضلة طبية ذات حدين، يمكن أن تقبل التحريم أو التحليل، وما يشير إليه الشرع في هذه الأحوال أن التحريم له أولوية على التحليل.

كما وجب على الطبيب الأخذ بأحد القرارات الخاصة بالمريض لتفادي الضرر الأكبر، فالضرر الأشد يزول بالضرر الأخف، ويطبق الأمر على المداخلات الطبية التي تَغْلُبُ فيها المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، لأن الإنسان قد يتحمل الضرر لنفسه لدفع الضرر على مصلحة العامة.[1]

[1]_محمد عيد شبير: مرجع سابق، ص12

المبحث الثالث: القوانين المنظمة لأخلاقيات مهنة الطب

المطلب الأول: مدونة أخلاقيات مهنة الطب والتدابير المرافقة لها

تهدف المدونات قواعد السلوك إلى حماية سلامة والإستقلال مهنة معينة مثل الطب أو الصحافة أو المحاماة، وهي معترف بها ومشمولة بحماية القانون الوطني والدولي، ونظرا لما يتمتع به الطبيب من تأثير في الحياة أو وفاة المرضى، وكذلك على صحتهم البدنية والعقلية فقد تطورت الأخلاقيات الطبية منذ العصور القديمة لا سيما مع قسم أبقراط الشهير، وأخلاقيات الطبيب عند الرازي وابن سينا.

فلقد جرى تعزيز تلك القواعد بمرور الوقت بهدف الحد من مشاركة الأطباء في الأشكال المتطرفة والاستبدادية من السيطرة الاجتماعية والعنف السياسي، وقد كشفت الحرب العالمية الثانية على سبيل مثال عن مشاركة أطباء في سياسات التعذيب، وما يعرف بتحسين النسل.[1]

ولهذا فلكل مهنة من المهن أخلاقيات ومواثيق وقواعد ومبادئ تحكم قواعد العمل وكيفية السلوك فيها، فيبغي احترامها والالتزام بها باعتبارها تعكس الصورة التوجه الأخلاقي العام في حياة الشعوب والأمم.

وللمهنة الطب مجالات متعددة وظائف معينة، وقد تتداخل مجالات المهنة ووظيفتها ومادتها العلمية وأساليبها العلمية مع المهن الأخرى، وتعد دراسة "فلكسنر" عام 1915 أقدم دراسة في مجال المهن ، فقد توصلت إلى معايير عدة، منها أن يكون للمهنة أخلاقية قواعد تتحكم بها.[2]

يعتبر قانون مهنة أخلاق الطب، قانون واجبات عامة وتقنية تهدف إلى الممارسة السليمة للمهنة، إنه قانون خاص يعنى بقواعد مهنة الطب.[3]

---

[1] _ ألبرت شامز : أخلاقيات مهنة الطب، القاموس العلمي للقانون الإنساني http://www.ar.guide-humanitarian-law.org.com يوم 2023/03/25.

[2] _ مريم شريط: أخلاقيات المهنة الطبية بين التمثل والممارسة، مرجع سابق، ص76.

[3] _ سليمان، الحاج عزام: الدعوى التأديبية الناشئة عن مخالفة قواعد أخلاقيات الطب، مجلة المفكر، العدد08، جامعة محمد خيضر بسكرة.

حيث يرى التشريع الجزائري أخلاقيات الطب بأنها مجموعة المبادئ والقواعد والأعراف التي يتعين على كل طبيب أو جراح أو صيدلي أن يراعيها، ويستلهمها في ممارسة مهنته.[1]

إن قواعد مدونة أخلاقيات مهنة الطب هي قواعد قانونية مكتوبة، تصدر في شكل نص تنظيمي وملزمة مستقلة عن القواعد الجنائية والمدنية، ولها مبادئ تحكمها ويترتب عن مخالفتها المتابعة التأديبية وتوقيع الجزاء.[2]

مدونة أخلاق مهنة الطب: تقوم مدونة أخلاق الطب على قواعد ومبادئ أخلاقية مندرج في مدونات السلوك الأخلاقي الطبي بهدف حماية سلامة واستقلال مهمة الأطباء في مواجهة الضغوطات الخارجية وهي أيضا مندرجة في قوانين وطنية وهو ما يجعلها ملزمة قانونا.

كما يوجد العديد من الروابط العالمية والإقليمية التي تمثل المهن الصحية المختلفة المتمثلة في:

الرابطة العالمية لطب النفسي والمجالس الدولية للممرضين والممرضات، كذلك المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الإسلامية في عام 1981 نظم الدستور الإسلامي للمهنة الطبية الذي يعرف الآن باسم الإعلان الكويت.[3]

المطلب الثاني: الميثاق الإسلامي العالمي لأخلاقيات الطب

تعبر أخلاقيات المهنة عن مبادئ التي تعد أساس للسلوك المطلوب لأفراد المهنة والمعايير التي تعتمد عليها الدولة في تقييم أدائهم إيجابيا وسلبيا.[4]

انطلقت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية سنة 1981، حيث عقدت ما يقارب 30 لقاءا عالميا وامتدا إلى غاية 2005، لمناقشة المشكلات اليومية الصعبة من طرف علماء ومتخصصين، وكان أخرها قد درس موضوع الدستور الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية

[1]_سيد أحمد غزالي: المادة1 قواعد أخلاقيات الطب، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد52، المطبعة الرئيسية، 1992، الجزائر، ص1419.

[2]_ سليمان الحاج عزام: مرجع سابق، ص130.

[3]_ ألبرت شامز: مرجع سابق

[4]--سالم السالم: أخلاقيات العمل، ورقة مقدمة إلى برنامج تدريبي في الإمارات، الإمارات العربية المتحدة، ص2

والصحية مع التطرق إلى الأبحاث التي تجرى على الإنسان في إطار الوثيقة العالمية للأبحاث الطبية التي أعدها مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية، ثم إلى العلاقات بين الطبيب وزملاءه ومرضاه ومجتمعه، بمشاركة الفقهاء وأطباء والعلماء الفلسفة واجتماع والقانون وغيرها من 22 دولة، إضافة إلى منظمات حكومية وغير الحكومية في عام 2004[1]

ويقوم هذا الميثاق على108 مادة واندرجت في أبواب التالية المتمثل في:

_أخلاق الطبيب

_واجبات الطبيب نحو المريض

_السهر المهني

_واجبات الطبيب تجاه مجتمعه

_القضايا الاجتماعية

_الإعلان والإعلام

_واجبات الطبيب نحو المؤسسة التي يعمل بها

_العلاقات مع الزملاء

_حقوق الطبيب

_ واجبات الطبيب تجاه مهنته[2]

نحن مثقفون على أن القيم الأخلاقية الحميدة تصدر جميعها عن مشكاة واحدة، وتتبع مسارا واضح معالم، ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها، قيم تكرِّم الإنسانية التي كرمها الله، وتحفظ له حقوقه الأساسية، بالحياة والحرية، وحفظ الممتلكات والصحة، ولنتذكَّر على الدوام أن ما نقصده بالأخلاق هي تلك الصفات الإيجابية التي يعتنقها المرء، لذا يحث الميثاق

[1] _ مريم شريط: مرجع سابق، ص99.

[2] _ عبد القادر حيزة، ممتاز: البحث العلمي الطبي وضوابطه الشرعية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص92.

الإسلامي العالمي على القيم الأخلاقية الطبية التي تعتبر هدفا رئيسيا للمجتمع لأن الطبيب يعتبر المؤثر الأكبر في حياة الإنسان.

المطلب الثالث: المنظمات الدولية والميثاق الدولي لأخلاقيات الطب

لا توجد اتفاقية دولية تنظم مضمون أخلاقيات مهنة الطب في أوقات السلم، فتنظم هذا على المستوى المحلي من خلال مدونات السلوك التي تصوغها الاتحادات المهنية الصحية، فيختلف محتوى مدونات السلوك الوطنية باختلاف البلد لكن البادئ الأساسية معترف بها في كل بلد.

واعدت الجمعية الطبية العالمية وتبنت عام 1983 ميثاقا عالميا لأخلاقيات مهنة الطب يوضح التوافق على المبادئ الأساسية في أمور أخلاقيات مهنة الطب، وتكمل هذه الوثيقة القواعد الوطنية والقواعد التي تنظمها نصوص دولية سابقة مثل:

ميثاق نورمبرغ عام 1947 الذي يتعلق بأخلاقيات مهنة الطب لا سيما التجارب العلمية على البشر.

_إعلان جنيف لعام 1948 وهي قواعد دولية خاصة تنظم المهام الطبية في حالات النزاعات المسلحة لا سيما حق الجرحى في المعاملة.

_قواعد الدولية خاصة التي تنظم المهام الطبية في حالات الاحتجاز

_كما أن هنالك مدونة دولية لآداب مهنة الطب التي أعدتها الجمعية الطبية العالمية، وتؤسس لمبادئ والالتزامات التالية

الالتزام بالرعاية: الالتزام بعد رفض تقديم الرعاية لمن يحتاجون إليها وعدم التمييز على أسس مالية أو أي أسباب أخرى كما يرتبط بالالتزام احترام الحياة واعتبار الرعاية في حالات الطوارئ واجبا إنسانيا.

واجب الحصول على موافقة المريض: أي الالتزام بإبلاغ المريض والحصول على موافقته واحترامها قبل أي عمل من أعمال الرعاية، وهو أمر أساسي من أجل حماية التوازن في العلاقة بين الطبيب والمريض، وضمان احترام كرامة المريض. [1]

السرية الطبية: الالتزام بالسرية الطبية واجب أخلاقي يربط الطبيب بمريضه بما في ذلك عقب وفاة المريض، وذلك وفقا لإعلان جنيف 1948، إلا أن هذا الواجب فقد طبيعته المطلقة في الصياغة التي اختارتها المدونة الدولية لآداب مهنة الطب وعدل عام 2006، حيث تقول الصيغة الجديدة المعدلة "إنه يتسق مع أخلاقيات المهنة الطب، أن يتم الكشف عن معلومات سرية عندما يوافق المريض على ذلك أو عندما يكون هنالك خطر بالغ ووشيك على المريض.

التصرف بما يخدم مصلحة المريض: الالتزام بالتصرف بما يخدم مصلحة المريض يتضمن التزاما بإحالة المريض إلى شخص مؤهل عندما تتجاوز الحالة الطبية القدرات المهنية للطبيب، ومن المحظور أيضا تقديم علاج تتجاوز آثاره السلبية الفوائد العلاجية.[2]

أن ما جاء به الميثاق الإسلامي والمنظمات الدولية، قد وضعه أبي بكر الرازي في كتابه أخلاق الطبيب الذي يعد ميثاق شرف مهنة الطب ولا ريبا أن نقول بأن العالم الإسلامي والدولي، قد أخذ جل توصيات وأخلاق الطبية من فيلسوف العرب أبي بكر الرازي الذي يعد خليفة أبقراط في الأخلاق الطبية.

[1] _ سيد أحمد غزالي، مرجع سابق.
[2] _ سيد أحمد غزالي، مرجع نفسه.

ملخص

_ نتخلص في بداية العمل من هذا الفصل أن فلسفة العملية عند الرازي هي تفكير إيتيقي بامتياز، من حيث انشغالها بالخصال لا بأفعال، وبإزهار الذات وتحقق ممكناتها، أو كما يراها الرازي بنفسه البلوغ " غاية ما في الجوهر مثلنا نيله وبلوغه"، واقدار الذات على الفعل بواسطة العقل والروية عوضا عن الانفعال تحت وطأة الهوى وإتباع الشهوات ، ثم إن الرازي لا يحرص على وضع قواعد وقوانين كلية لسلوك، لأن مطلوبه وغايته السعادة لا الواجب، حتى وإن تعلق الأمر بالواجب ما فهو واجب المرء نحو نفسه قبل واجباته نحو غيره.

_ أما من ناحية الممارسة الطبية و الأخلاق الطبية: نجد أن الرازي تخطى الحدود الأخلاقية الأبقراطية التي تعمل على إنقاذ المرضى وتخفيف عنهم الآلام، لأن العلاج الطبي عند الرازي يقوم على الجانب النظري وتجسيده على أرض الواقع أي بما يعرف الآن بالأخلاق التطبيقية، حيث يقول الرازي في هذا الخصوص لكي يكون الطبيب بارعا وجب أن يتصف بصفتين الفن النظري والفن العملين ومن بين ضوابطه في ممارسة الأخلاق الطبية التي تقوم على التواضع وعدم التكبر، كذلك ينهى الرازي الطبيب عن العجب لأنه ضد المعرفة، ويقر الرازي على ضرورة الإيمان وسلامة القلب، كما يركز عن الأمانة العلمية في النقل عن الآخرين، نهى عن شرب الخمر لأنه يذهب العقل وبذلك يضيع العلم، ويركز على ضرورة احترام مشاعر المريض، وتحذره من أدعياء الطب، كما أنه من ضوابط الطبية نجد مقاصد التشريع في الإسلام التي تقر بمبدأ حفظ النفس والمال والنسل والدين، فحتى ميثاق الإسلام وميثاق الدولة لأخلاقيات الطب له بالتقريب نفس أسس الرازي الأخلاقية.

الفصل الثالث:

من أخلاقيات الطب في تصور أبوبكر الرازي إلى البيوإيتيقا

توطئة:

شهد العالم في العصر الحديث ثورات علمية أحدث تقدما هائلا في مختلف المجالات والتطبيقات خاصة في مجال البيولوجيا، حيث تمكن الأطباء من تحكم في الجينات وزراعة الأعضاء وتوصلوا إلى العديد من الاكتشافات والتقنيات التي كانت تهدف إلى تحسين حياة الإنسان الصحية.

لكن بقدر ما كانت لهذه الاكتشافات أثر جيد في حياة الإنسان بقدر ما أثارت مخاوفه حيث أنه في المقابل برزت عدة مشاكل أخلاقية استدعت وجوب امتداد الأخلاق لتسع هذه التجاوزات ولتصيح صالحة لتطبيق في هذا المجال بهدف ضبط السلوكيات الماسة بالكرامة الإنسانية والحد من الانعكاسات السلبية لها، كل هذا جاء تحت المسمى "البيوإتيقا"، فيما تمثلت البيوإتيقا؟ وما هي المشاكل الأخلاقية التي عالجتها؟

المبحث الأول: أخلاقيات الطب والبيولوجيا(البيوإتيقا)

المطلب الأول: دلالة مصطلح البيوإتيقا ونشأته

1 تعريف البيوإتيقا

أ_ البيوإتيقا لغة:

يشير مصطلح البيوإتيقا(Bioéthique) إلى كلمة مركبة من كلمتين بيوس (Bios) وتعني الحياة وإيتوكس(Ethikos) وتعني الأخلاق بمعنى التام أخلاق الحياة، البيوإتيقا (Bioéthique)، وهي مصطلح منحوت بطريقة تمكن من إعادة وصل بين العلم وهو هنا البيولوجيا، والأخلاق التي تعني أصلا مقاربة فلسفية تنظر في المعايير.[1]

وهذا المصطلح مركب أي البيوإتيقا مصطلح حديث النشأة يعني أخلاق الحياة في الاشتقاق اللغوي، وتدل أيضا على "التفكير في القيم الخاضعة للحياة".[2]

ب_البيوإتيقا اصطلاحا:

يعرفها "بير دي شامب(B.des.champ") على أنها:" العلم المعياري للسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في مجال الحياة والموت".

ويعرفها أيضا "دافيد روي (David.Roy") بقوله: "هي دراسة متعددة الاختصاصات بمجموعة الشروط التي يفرضها التيسير المسؤول للحياة البشرية أو الشخص البشري، في إطار التطورات السريعة والمعقدة للمعارف وتقنيات البيوطبية".[3]

كما تعرفها جاكلين روس " تقوم الأخلاق الحياتية على المسؤولية تجاه الإنسانية القادمة والبعيدة الموكلة لحراستنا، وعلى البحث عن أشكال الاحترام الواجب للشخص، سواء أكان

[1] _ كريمة محمد أمينة: الأخلاقيات التطبيقية "جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم"، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2015، بيروت، لبنان، ص29.

[2] _ أحمد بأحمد: الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، مذكرة نيل رسالة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة الفلسفة، جامعة أبي بكر القايد تلمسان، الجزائر، ص44

[3] _ المرجع نفسه، ص44.

هو الأخر أم المرء بذاته، بحث يجري على الأخص بالنظر في القطاع الحيوي، الطبي وتطبيقاته".[1]

وتعتبر "البيوإتيقا أو الأخلاق الطبية فرعا من الأخلاقيات التطبيقية" فرع يتعلق بالمسائل الطبية والحيوية أثار جدلا سياسيا، وأخلاقيا داخل المجتمع.[2]

2_ نشأة البيوإتيقا:

مصطلح البيوإتيقا أو أخلاقيات البيولوجيا نشأ منذ أزيد من العقدين من السنين من هذا القرن فهو ليدل على مجموعة القضايا الأخلاقية التي تخص حياة الكائن الحي بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة، بحيث أنه اتسع هذا المدلول ليشمل المسائل المتعلقة بين العلاقات المجتمع وبين الإنسان محيطه الطبيعي الاجتماعي، وعندما قفز علم الأحياء وتطور أصبح يتناول موضوعات جديدة كالمورثات، وظهرت تطبيقات طبية جديدة تماما تخص التحكم في الإنجاب وتحديد النسل بصفة خاصة، وأول من استخدم هذا المصطلح هو فان رونسيلار بوتر في كتابه البيوإتيقا: جسر نحو المستقبل" (Bioethics :Bridge to the future) سنة 1971، وكتب قبل ذلك أيضا مقالا عن البيوإتيقا بعنوان البيوإتيقا علم البقاء (Bioethics the Science of Survi) حيث يبرز فيه التدخل الحقلين الدلاليين الإغريقيين وهما أيثيوكس(Ethikos) أي الأخلاق، و(بيوس Bios) ومعناها الحياة، ليثبت بذلك السلطة التي اكتسبتها البيوطبية ووعيها بها[3]، كما اعتمدت عليه القواميس على البيوإتيقا في عام 1982، فهو الآن يلقى نجاحا ملموسا، كما يدور حوله نقاش ولعله من أهم النقاشات الفلسفة والقانون، فلا داعي للاستغراب إذا قلنا أن دافع العلمي إلى تطوير البحوث في علم البيولوجيا المعاصرة من قبل، ذات مرمي إنسانية محددة وواضحة، تتمثل في معالجة

[1] _ جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص111.
[2] _ شريف الدين بن دوبه: الأخلاق التطبيقية في الفقه الإسلامي المعاصر- قراءة فلسفية للمذهب المالكي-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه،2017، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران2، وهران، الجزائر، ص82.
[3] _ محمد جديدي: البيوإتيقا والرهانات الفلسفة القادمة، ص8.

بعض التشوهات والانحرافات الناتجة عن الأمراض الوراثية، بينما الآن فنجد أن هذا الدافع يتجه ولا يزال يتجه أكثر في القرن المقبل نحو القيام بدور الطبيعة ذاتها[1]

لقد بدأ مصطلح البيوإتيقا ينصرف إلى عدة تطبيقات ومشاكل التي تثير الناحية الأخلاقية[2]، التي يضعها علم الأحياء بين يدي الطبيب مثل إمكانية تجميد الأجنة، الاستنساخ، تدخل في الجينات البشرية ، وإمكانية دراسة الأمراض الوراثية والتحكم فيها من أجل أن يخلق مولود سليم خالي من أي طفرة وراثية، فهنا تكمن مسؤولية الطبيب نحو المريض.

لقد ارتبط ظهور البيوإتيقا بعلم الأحياء وبضبط بالثورة البيولوجيا، وهي بمثابة أزمة أعادت فيها البيولوجيا أسسها وقراراتها مستعينة بالأخلاق كعلم ، وهي ما تحدث عنها الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط كسبب رئيسي لهذه الأزمة، كما أنه في أواخر القرن الماضي تأثرت العديد من المجالات الفكرية والعلمية بالنظرية الداروينية" فهي نظرية تشرح التطور البيولوجي طورها العالم الإنجليزي تشارلز داروين سنة 1882"، وحاولت تأسيس الأخلاق على العلم مما أفقدها استقلاليتها وأخضعها لطابع النسبي، وبما أن التأثير الهائل لنظرية التطور في القرن العشرين طال أساس الأخلاق فإن العلم اليوم وتطبيقاته الطبية خاصة في الهندسة الوراثية يضع الأخلاق في إحراج لم تقع فيه من قبل، فإن كان هذا السبب الذي جعل الأخلاق تقع في إحراج فإنها تعتبره نقطة بداية من جديد فتعود باسم جديد بيوإتيك الذي يعني أخلاقيات البيولوجيا.[3]

3_موضوع البيوإتيقا

لقد كان ظهور البيوإتيقا نتيجة الملاحظة لما يتعرض له المرضى وأشخاص آخرون لتجارب طبية وبهذا يكون الدافع الأول لبروزها هو التطبيقات البيولوجية الطبية الإنسانية أما

[1] _ عمر بوفتاس: البيوإتيقا نحو الفكر أخلاقي جديد، دفاتير فلسفية، العدد9، 2015، ص61

[2] _ محمد عابد الجابري قضايا في الفكر الغربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية،ط1، 1997، بيروت، لبنان، ص65.

[3] _ مرجع نفسه، ص66-67.

الدافع الثاني فهو متعلق بالاهتمامات والتساؤلات الجديدة التي يطرحها التطور الطبي لموضوع البيوتيقا.

بسبب عالميتها وطابعها الشمولي مما أثار جدلا كبيرا حول المواضيع التي تناولتها ولكن هناك مواضيع، حولها إجماع من طرف أغلب الباحثين فقد قسمها الباحث الكندي جي ديوران إلى ثلاث أقسام:

_ النواة المركزية: وتتضمن المشاكل الأخلاقية التي تثيرها المواضيع التالية الإجهاض، الإخصاب الصناعي، الاستنساخ، عمليات التحويل الجنسي، التبرع بالأعضاء البشرية، الموت الرحيم

_ المواضيع لصيقة بالنواة المركزية: أهم مواضيعها هي منع الحمل، الحرب والأبحاث حول الأسئلة البيولوجية، الأبحاث التي تجرى على الحيوانات، علم البيئة.

_ المواضيع القريبة: يسعى الباحثون إلى توسيع مجالات البيوتيقا فيدرجون في إطارها مواضيع ترتبط بالتفكير الأخلاقي وعلاقته بالممارسة الطبية، تصور الصحة والمرض، دلالات الجسم البشري، علاقة الأخلاق بالقانون وحقوق الإنسان، علاقة الأخلاقيات بالعلم والتكنولوجيا.[1]

4_ المجالات الأخلاق البيوإتيقا:

تشمل البيوإتيقا ثلاث قطاعات رئيسية تتمثل في:

أ_ أخلاقيات العيادة:

وهي الموضوعات الأولى التي كانت تدور حول البيوإتيقا ويصعب اتخاذ القرار بشأنها، يحددها "دافيد روي" في القرارات بشأن الأطفال حديثي الولادة المصابون بتشوهات، والإبقاء على قيد الحياة هؤلاء المرضى الميئوس من شفائهم يقول دافيد روي " ترتبط أخلاقيات العيادية ما يواجه الأطباء والفرق الطبية من القرارات وشكوك واختلافات قيمية ومعضلات

[1] _ مقداد كهينة: البيوإتيقا والبحث البيوطبي، مرجع سابق، ص64-68

وذلك سواء أمام أسرة المريض أو داخل غرفة العمليات أو في مكتب للاستشارة الطبية أو حتى في عيادة أو منزل المريض"

ومن هذا التعريف نستنتج ثلاث نقاط أساسية :

لا تتعلق أخلاقيات العيادية بالأطباء والفرق الطبية فحسب، بل حتى بفريق العناية والمحيط، كما أنها لا تتعلق بالمعضلات والاختلافات القيمية فحسب بل بالقرارات العادية والمواقف والأسئلة المفيدة، بالإضافة إلى كونها لا تقتصر على تحديد المقرر الجائز والمنوع والمسموح، بل على إيجاد المثل أي ما هو أفضل للحالة.

وتستعين أخلاقيات العيادة بمبادئ إرشادية تضعها المؤسسة العلاجية أو لجنة الأخلاقيات العيادة دون تميز.

أخلاقيات البحث العلمي:

كانت التجارب على البشر أول من أثار نقاشا أسهمت فيه تخصصات متعددة أدت إلى نشأة " اللجان الوطنية للأخلاقيات" لجنة الأخلاقيات الأمريكية1974، وقد ارتبطت البيوإتيقا في البداية بأخلاقيات البحث العلمي، كما يتضح في لجنة الأخلاقيات الفرنسية الوطنية الاستشارية لأخلاقيات علوم الحياة 1983، وقد أصبحت الأبحاث والتجارب على البشر منفصلة من الممارسة العيادية كي تصبح تخصصا قائما بذاته.

أخلاقيات السياسة الصحية:

هي التفكير متعدد التخصصات حول البعد الأخلاقي لكل القضايا التي تهم الموضوعات حول الصحة مثل حق المواطنين في معرفة تنظيمات هذا المجال، ومدى احترام حرية وكرامة الأفراد في حملات إشهار التدخين، ومدى التزام المبادئ العدالة والمساواة في دخول مراكز العناية الصحية، وهل هناك حق في الصحة أم أن الأمر لا يتعدى الحق في العلاج، ويبدو أن هذا المجال أقل تطورا من مجالات السابقين.[1]

[1]_أحمد عبد الحليم: الأخلاق البيولوجية وطبية، مجلة شذرات من كتاب، 2016، موقع:http://www.shazaraaat.blogspot.com

المطلب الثاني: علاقة البيوإتيقا ببعض العلوم

إن النتائج المتوصل إليها والتي تعتبر محققة ومحتملة في الميدان الطبي البيولوجي في إطار التقنيات الحديثة والمعدات الجديدة المتوفرة، من أجل التغير في الواقع الطبيعي هذا وإن لم نقل إخلال في توازن الحياة البشرية من جهة، والطبيعية من جهة أخرى فالبرغم من أن تطور العلم بهذه السرعة الفائقة وأصبح يتدخل في كل ما يطلبه الإنسان في هذه الحياة سواء في تغير ملامحه أو تحقيق فرصة الإنجاب أو تحديد النسل أو التدخل في طفرات الجينات الطفل، ولا يمكن تكذيبنا إن قلنا أن الميدان الطبي تطور وأصبح يهتك حياة الإنسان ويعود عليه السوء في عوض أن ينتفع بهذا المجال، فبرغم من أن فيه جوانب إيجابية إلا أن هذا التطور بات يخوف الحياة البشرية والطبيعة وعلى هذا الأساس، اقتنع الفلاسفة ورجال السياسيين ورأي العام ورجال الدين على حد سواء، أنه لم يعد ممكنا ترك التجريب والبحث العلمي في مجال الطبي ولا محاولة التحكم في ولادة الإنسان و موته وجهازه العصبي، مدام الأمر مرتبطا بالوجود البشري ومصيره وهويته وكرامته ومستقبله، وهذا الراجع إلى تدخل علماء الأخلاق والدين والفلسفة والقانون وغيرهم.

لقد حققت أخلاقيات الطب البيولوجيا خطوة هامة عندما ارتبطت بالفلسفة والقانون والدين.

1_ البيوإتيقا والفلسفة:

هنالك ارتباط كبير بين البيوإتيقا والفلسفة، فالبيوإتيقا هي أساس الفكر الأخلاقي الجديد، أي هي تجديد لمبحث أو فرع من فروع الفلسفة وهو الأكسيولوجيا حسب التقسيم الكلاسيكي للفلسفة إلى ثلاثة مباحث، أساسية هي (الأنطولوجيا وتعني مبحث الوجود، والإبستومولوجيا أي مبحث المعرفة، والأكسيولوجيا وتعني مبحث القيم.)[1] إلى جانب ذلك كان للفلاسفة دور كبير في نشأة البيوإتيقا وتطورها[2] ويرجع الفضل إلى فان بوتر الأمريكي فهو أول من وضع مصطلح البيوإتيقا سنة 1970 فهو قد كتب مقال بعنوان "البيوتيقا علم البقاء" وهيلغبرز في

[1] _ رحيم محمد الشياع: مدخل إلى فلسفة الأخلاق التطبيقية، دار بين الكتب، ط1، 2020، بيروت، لبنان، ص91.
[2] _ رحيم محمد الشياع: مرجع نفسه، ص91

بحث مصطلح البيوإتيقا وتبيان الطريق للفكر البيوإتيقي، إن الميولات النفسية تكون واضحة في كتاباتها كما لا يمكن الإغفال عن دور الكثير من الفلاسفة غير فوتر وهيلغبرز، ومن بينهم دانيال كالاهان الذي أسس مركز هاستنغز حيث يهتم بنشر الفكر البيوتيقا والتعريف به وأسس أول مجلة ناطقة باسم البيوتيقا وحاول إضفاء الطابع العلماني على البيوإتيقا وفصلها بالتالي عن الأخلاق الطبية الكلاسيكية التي كانت غارقة في اللاهوت المسيحي [1]، ، كذلك نجد هانس يوناس الذي ساهم في عالمية الفكر البيوتيقي والتأكيد على طابعها الشمولي، وربط بين البيوتيقا وتطوير مفهوم المسؤولية ، نبه على خطورة الأبحاث العلمية والبيولوجية والتجارب العلمية على حاضر الإنسانية ومستقبلها.[2]

يتجلى الحضور القوي للفلسفة في الفكر البيوإتيقي من جهة أخرى في تشكيلة اللجان الأخلاقية، التي صاحبت نشأته وتطوره، فقد كان الفلاسفة من أبرز أعضاء هذه اللجان وهكذا ظهرت شخصية جديدة وهي عالم الأخلاق، التي تعتبر شخصية علمية ترتبط بالأخلاق كفكر فلسفي وترفض الارتباط بها كفكر ديني[3] " يمكن أن نقول بأن هذه الفكرة اسْتُمِدَّتْ من عند أبي بكر الرازي الذي يدعوا إلى فصل الأخلاق عن الدين التي وصفها شجاعة وجود "اللاأدرية الدينية والنظرة المأساوية إلى العالم "[4].

كما يحاول أقطاب الفكر البيوتيقي، صبغة البيوتيقا بالطابع العلمي والعلمي الواقعي الذي يكون ذو صفة واضحة في أفكار الفلسفة البرجماتية الأمريكية.[5]

يمكن اعتبار أن أهم أثر تركته البيوإتيقا على الفكر الفلسفي هو مساهمتها في تحقيق حلم كان ومزال يراود بعض الفلاسفة وانتقال هذا الفكر من النُخَبْ والجامعات لكي تهتم به الفئات العريضة للمجتمع، وبالفعل تبلور الفكر الأخلاقي الجديد خارج الجامعة، ما دامت هذه

[1]_ على العبود المحمداوي: البيوإتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، ص72.
[2]_ وليد إسماعيل: مرجع سابق.
[3]_ فوزية علوان، وسلمى برحايل: قراءة في الأخلاق العربية عبد الحليم عطية نموذجا، دفاتر فلسفية، جامعة الزقازيق، مصر، ص86.
[4]_ فهمي جدعان: سؤال الأخلاق في الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص125.
[5]_وليد إسماعيل، مرجع سابق.

الأخيرة تريد أن تكون نخبوية وترفض أن تكون شعبية هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الفكر البيوإتيقي على خلاف الفكر الفلسفي السابق. لا يرتبط برموز معينة، ولا حتى بمجال معرفي معين، فكل التخصصات بل وكل الفئات الاجتماعية تشارك في مناقشة قضايا البيوإتيقية، وليس الأطباء وحدهم والبيولوجيين وحدهم، وهكذا أصبحت أخلاقيات الطب والبيولوجيا وما يرتبط بها من قضايا دينية وقانونية...الخ.[1]

البيوإتيقا والدين:

وعليه فإن علاقة البيوإتيقا بالدين قد مرت بثلاث مراحل نذكرها:

المرحلة الأولى: امتدت هذه المرحلة من أواخر الستينات إلى أواسط السبعينات من القرن العشرين، حيث بدأ في هذه المرحلة انفصال الأخلاق الطبية عن الدينية التي كانت تحت هيمنة رجال الدين المسيحي والكاثوليكيين الذين كانوا بدورهم يتحدثون باسم الأخلاق، وهذا ما جعل البروتستانت المشاركة في الحديث البيوإتيقي، مما تأثر به الكاثوليكيين وانخرطوا في هذا المشروع البيوإتيقي، كما انظم رجال الدين اليهودي بدورهم إلى القضايا البيوإتيقية، وبذلك كان المجال المعرفي الأساسي للجمعيات الأخلاقية الأولى وهو الدين.[2]

المرحلة الثانية: امتدت هذه المرحلة من أواسط السبعينات إلى غاية الثمانينات من القرن العشرين، فقد تميزت هذه المرحلة بالتراجع الخطاب الديني مع مجيء الفلاسفة ورجال القانون بكثافة إلى الميدان البيوإتيقي وتزايد أعداد اللجان الأخلاقية، كما شهدت هذه المرحلة حدثا هاما بتأسيس اللجنة الأخلاقية من طرف فرنسا سنة 1983، والتي تؤكد بدورها على الطابع العلماني للأخلاق الطبية الحيوية، وتم استبدال العاطفة مع المريض بمبدأ الاستقلال الذاتي وحق المريض في تقرير مصيره بنفسه.[3]

أما **المرحلة الثالث:** كانت بدايتهاأواخر الثمانينات من القرن الماضي إلى غاية يومنا هذا والذي شهدت فيه رجوع القضايا الدينية بشدة، وذلك راجع لطغيان المادي الاقتصادي الذي

[1] _فوزية علوان وسلمى برحايل، مرجع سابق، ص88.
[2] _أحمد عبد الحليم عطية، إتيقا الراهن والاتجاهات الأخلاقية المعاصرة
[3] _المرجع نفسه، ص137

أصبح يشغل بال الطبيب من ناحية المريض أكثر من صحته، بإضافة إلى تزايد اهتمام علماء الدين في القضايا البيوإتيقية والمعضلات التي أفرزتها الثورة البيولوجيا والتي عرفتها ميادين الإنجاب الاصطناعي، والهندسة الوراثية وزراعة الأعضاء، وهكذا طال النقاش الديني قضايا أخرى كأطفال الأنابيب وتجارة الرحم والأجنة ...الخ، وقد شارك علماء الإسلام في هذه النقاشات من خلال الندوات التي تقام حول هذه القضايا.[1]

البيوإتيقا والقانون:

إن العلاقة البيوتيقا بالقانون موضوع قائم بذاته فمنذ الأربعينات من القرن الماضي والأصوات تتعالى وتحذر من مخاطر الأبحاث الطبية البيولوجية، وقد ازدادت وحدة هذه التحذيرات مع التوالي العقود، إلا أن العقدين الأخيرين من القرن العشرين عرفا تزايد وتفاقم في المشكلات الأخلاقية التي يطرحها المجال الطبي البيولوجي من جهة وبسبب الفراغ القانوني الحاصل في هذا المجال من جهة ثانية، وإلى التطور القانون بدوره من جهة ثانية.

يمكننا القول وبناءا على ما سبق، بأن الفكر الأخلاقي الجديد هو أيضا فكر قانوني جديد وأن العودة إلى الأخلاق في مجال الطبي البيولوجي رافقتها العودة إلى الأخلاق أو ما يسميه البعض ب "الانتقال من الأخلاق إلى القانون"، بإنشاء مبحث قانوني جديد، يهتم بتنظيم القضايا المستجدة في ميدان الطب البيولوجيا والصحة، وقد أطلق عليه اسم القانون الطبي وهو ما يعرف بالطب الشرعي Médecinelégale فإذا كان القضاء والعدالة يستعينان بالخبرة الطبية لحل مشكلات قانونية في إطار الطب الشرعي، فإنه على خلاف ذلك يستعين الطب والبيولوجيا، في إطار القانون الطبي/ البيولوجي، بالقانون لتسوية معضلات أخلاقية تثيرها الممارسة الطبية/ البيولوجية.[2]

وعليه نستنتج أن القانون الطبي والبيولوجي قد ساهم في تطوير الأخلاق التي تنظم سير المهنة الطبية، كما أنه يعمل على تسوية المشاكل الأخلاقية وإعادة ردعها لذلك فغن

[1] _المرجع نفسه، ص137

[2] _ عمر بوفتاس: موقع البيوتيقا في إطار المعرفة المعاصرة- قسم الثاني-، مجلة الثقافية الفكرية، العدد 31، الفكر والنقد، 1997،ص1

البيوإتيقا مرتبطة بالقانون لأن هذا الأخير يهتم بتنظيم القضايا الموجودة في ميدان الطب والصحة.

المطلب الثالث: المشاكل الأخلاقية الناجمة في الطب

لقد ساهم العلم والتكنولوجيا في تغير ملفت في الطبيعة الكائنات الحية والإنسان بالأخص على مستوى البيولوجي والطبي، مما أدى إلى تحسين الصحة وتوصل إلى علاج الكثير من الأمراض، واكتشاف العديد من الأدوية والعقاقير، مما تمكن الأطباء من إجراء التجارب بأنواعها وكل هذه الاكتشافات لم تكن بطريقة مباشرة بل بعد إقامة الاختبارات العلمية والاعتماد على تقنيات حيوية للملاحظة مدى نجاعة هذه التجارب إلا أن التطورات الحاصلة وصلت إلى حد التغير وتحويل الطبيعة البشرية ذاتها مما أثار مشاكل أخلاقية معقدة وجديدة في مجال الطب كالقتل الرحيم، زراعة الأعضاء، الهندسة الوراثية فما هي هذه المشاكل وكيف تصدى لها الفلاسفة ورجال الدين؟

1_المشاكل الأخلاقية الناجمة عن التجارب الطبية:

أ/ على الحيوان: لقد كان الحيوان أو الكائنات الحية أولى الكائنات التي قاما الباحثون التجارب عليها ومن أولى التجارب في تاريخ العربي إن لم نكن من المخطئين نجد أبي بكر الرازي الذي آمن بالتجربة ويعتبرها أنها السبيل لتحقيق السعادة لآخرين فهي تحقق السيطرة على الطبيعة وتمكنه من تعديلها لخدمته، ومع اهتمام الرازي بهذا النوع من الطب العلمي إلا أنه يرفض التجربة على الإنسان فقد تؤدي إلى هلاكه، فقد راعى الرازي حرمة جسد الإنسان وإجراء التجارب عليه انطلاقا من تعاليم الإسلام، وهذا ما دفعه غلى لأجراء التجارب على الحيوان وخاصة القرود، إلا أنه كان رفيقا بالحيوان إلى أقصى حد، وهذا ما يؤكد إنسانية الرازي والتزامه بحرمة الكائن الحي سواء أكان إنسانا أو حيوانا، ولقد وقف الرازي تجاربه على الحيوان كثيرا من الدواء النافع له[1]، أما في عصر الغربي نجد أن من أولى التجارب في هذا المضمار أجراها علماء في المتحف الأمريكي عام 1996، حيث أجريت في هذا

[1] _ أبي بكر الرازي: الحاوي في الطب، مصدر سابق، ص 17.

العصر تجارب على القطط، حيث شوهها الباحثون بطرق عديدة، وذلك دون مراعاة الألم لديها حيث نجد عالم الأخلاقيات بيتر سنجر يدعوا غلى التقليل المعاناة إلى حد الأدنى بالنسبة لجميع المخلوقات وينادي بضرورة احترام حقوق الحيوان لأنه يشعر بالألم مثل الإنسان، ويرى أن حقوق الحيوان تستحق العناية أكثر من حقوق البشر، ويؤكد الباحثون أن هذه التجارب حققت فائدة ومنافع عديدة لهذا يجب التقدم في هذه الأبحاث والتجارب، بينما يدعوا الفريق الأخر إلى ضرورة الحد من هذه التجارب والأبحاث على الحيوان وذلك راجع إلى أن نسبة الحيوانات التي تتعرض للقتل بسبب هذه التجارب تصل إلى 100 مليون حيوان سنويا.[1]

ب_ على الإنسان:

لكي يتوصل الباحثون إلى نتائج مرضية في اكتشافاتهم العلمية وضمان نجاعتها يتطلب ذلك القيام بهذه التجارب على الإنسان، وذلك بإجراء الطبيب تجربة دواء أو عملية جراحية معينة للحصول على المعلومات جديدة إذْ أثارت هذه التجارب مشاكل أخلاقية وهنا يجب التمييز بين نوعين من التجارب فهنالك منها علاجية وخالصة تهدف إلى اكتساب معارف وهذه الأخيرة خلقت جدلا بين فلاسفة الأخلاق حول حرمة جسد الإنسان وكرامته وهذا لما تحمله من اعتداءات ومخاطر محتملة لهذا يجب مراعاتها وعدم الإفراط فيها وعدم استغلال الأفراد كأصحاب البشرة السوداء والمجانين والمختلين واتخاذ القرارات عنهم أو دون علمهم بالتجارب[2]، ومن بين فلاسفة الأخلاق الذين نادوا بعدم التجريب في الإنسان ورغم انتماءه كما يقولون إلى الفلسفة الكلاسيكية نجد الرازي، الذي يرفض التجربة على الإنسان فهو قد راعى حرمة جسده وعدم إجراء التجارب عليه إطلاقا، فلإنسان عند الرازي مكانة لا يرقى إليها كائن أخر.[3]

[1] _ عامر شيماء، لخوجة مريم: الأخلاق التطبيقية: دراسة الأخلاق في الطب، جذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، الفلسفة عامة، جامعة محمد ابن باديس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016، مستغانم، ص30.

[2] _ بلحاج العربي: الحدود الشرعية لتجارب على الإنسان، دوان المطبوعات الجامعية، 2011، وهران، ص16.

[3] _أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، مصدر سابق، ص17.

ومن **النماذج تجارب الفاشلة** نذكر:

هنالك بعض التجارب العلمية التي أجراها بعض العلماء ولم تكن في مستوى تطلعاتهم إذْ باءت بالفشل نذكر تجربة أجريت في ماليزيا سنة 1999، حيث انتقل فيروس andra من الخنازير إلى الإنسان، وذلك نتيجة تجاربٍ لنقل الأعضاء أودي بحياة 70 شخص، وفي تجربة أخرى انتقل فيروس الإيدز من القردة إلى الإنسان، وذلك من خلال بعض التجارب الطبية أدت بحياة الملايين من البشر، مما بعثت هذه الأخيرة مشاكل أخلاقية أثارت خوف وقلق رجال وفلاسفة الأخلاق، وهذا ما أدى إلى قيام لجنة خاصة بأخلاقيات الطبية والتي تقوم بسن قوانين وتشريعات تضبط هذه التجارب، حيث أصدرت قوانين أمريكية وأوروبية كالقانون الفرنسي وألماني والنمساوي، والتي تنص على شرعية التجارب الطبية العلاجية[1]، والتي تكون في مصلحة الشخص المريض وشريطه أن تكون احتمالات النجاح كبيرة وهذا لضمان الحياة البشرية من جهة ومن جهة ثانية طلب الرئيس بيل كلينتون الأمريكي من اللجنة الاستشارية القومية لأخلاقيات البيولوجيا بعد أن تلقى تقريرا لإجراء تجارب دون استشارة الأفراد، وبالتالي دعا إلى ضرورة الالتزام الأخلاقي في إجراء التجارب الطبية العلمية انطلاقا من المبادئ الاستقلالية والمصلحة ومراعاة الشروط وضمانات الحصول الرضا من الشخص المعني، وهنالك تجارب أخرى خطيرة كتجارب العقاقير والأدوية التي تؤثر على البنية البدنية والنفسية للإنسان.[2]

2_المشاكل الأخلاقية الناجمة عن قتل الرحيم:

من القضايا العلمية الطبية التي دخلت مجال البيوإتيقا مسألة الموت الرحيم الذي يحيل حاليا إلى التدخل الطبي الذي يسعى إلى وضع حد لحياة شخص مصاب بمرض عضال أو دخل في حالة غيبوبة دائمة، أو طاعن في السن أصبح جسده هدف لكل الأمراض ومسكنًا لجميع الأوجاع، أو طفل ولد أو سيولد بتشويه خلقي بالغ الخطورة أو بتخلف عقلي كبير،

[1] حلمي عبد الرزاق الحديدي: قضية قتل الرحيم، مجلس الأعلى للشؤون الإعلامية، المؤتمر 22، القاهرة، ص8

[2] _ المرجع نفسه، ص21.

وذلك بهدف تنجيهم المعاناة والألم المبرحة، الموت الرحيم هو مايقابل المصطلح الفرنسيEuthanasieوترجع جذور هذه الكلمة إلى اللغة الإغريقية euthanatos بمعنى الموت، وبذلك يصبح معنى الكلمة الموت الجيد أو الموت المريح بدون ألام، وهناك من يفضل ترجمته بعبارات أخرى مثل موت الرحمة أو موت المساعدة على الموت أو قتل الرحمة أو القتل بدافع الشفقة...

تطرُح مسألة توقيف الحياة مشكلا آخر يتعلق بتجديد متى يمكن أن نقول عن الشخص ما أنه قد مات بالفعل؟ ذلك ما يعرف بمسألة إثبات الموت، فما هو الموت ومتى يمكن أن نثبت حصوله؟ هما سؤالان مختلفان: فالأول ذو طبيعة فلسفية ميتافيزيقية، والثاني ذو طبيعة علمية طبية ويطرح زيادة عن ذلك مشكلة أخلاقية.

ويتم في هذا الإطار التميز بين ثلاث مستويات للموت: الموت الإكلينيكي ويتمثل في التوقف الكامل والمستمر لوظائف الجسم، والمستوى الثاني هو الموت البيولوجي الذي يتمثل في توقف نشاط كل الخلايا والأنسجة بشكل تدريجي، ينتهي بانحلال الجسم، أما المستوى الثالث المتمثل في الموت الأنطولوجي كانفصال المبدأ الحيوي عن الجسم أو ما يعرف عند القدامى بانفصال الروح عن الجسد.

والقيم الأخلاقية التي تستنبطها الحياة ظاهرة في التشريعات القانونية التي عرفتها البشرية، فالخلاف التقليدي بين المدرسة العقلية والمدرسة الوضعية في تشريع الإعدام يظهر عن أهمية الحياة في الخيال البشري، فالحق في السلب حياة الآخر ليس مبررا، إذ لا يمكن لأي تشريع مهما كانت صفته أن يبرر سلب حق الحياة الأخر، ولذا نجد أن هذا الخلاف نتج عنه تأصيلا لإشكالية الموت الرحيم الأخلاقية، وقد كانت المرجعية النظرية للمسألة مع الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط الذي طابق بين قاعدة "الاستقلال الذاتي للإرادة " و"القدرة على التشريع الذاتي" والتي تمنح للشخص ككائن عاقل حق التشريع لذاته، واتخاذ القرار،

والمعضلة تكمن في أن قرار الاختيار أي اختيار الموت، يتعارض مع مطلقية القيم المؤسسة.[1]

فالقتل يبقى قتلا مهما كانت المبررات المفتعلة، فاتخاذ القرار بتوقيف حياة المريض بحجة أن له الحق في ذلك فهو غير مبرر أخلاقيا، وإن كان مقبول اجتماعيا، ولكن الآخر مهما كانت قرابته من المريض لا يملك الحق في اتخاذ القرار نيابة عنه، لأن ملكية القرار مرتبطة بصاحب الكيان، فالشعور بالحياة مختلف ومطبوع بتجربة الحياة الذاتية[2]، إن ما يزيد المخاوف أكثر ومشاكل الأخلاقية هي أن القضية الموت الرحيم تصبح ممارسة عادية، وفي متناول كل من يريد أن يضع حد لحياته بحجة الحرية للتخلص من الأفراد المعاقين أو كبار السن أو كل من يأس من الحياة، فمهما كانت طبيعة المعاناة التي يقايسها المريض، فمهنة الطب هي تخفيف الآلام والمعانات لا القتل أرواح.

3_المشاكل الناجمة عن التقنيات الحيوية:

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض وهو دائم البحث لوسائل تمكنه من تجاوز الصعوبات خاصة في بحوثه العلمية وفي مجال الحيوي أو الطبي الذي هو أقرب مجال للإنسان، فابتكر ما يسمى بالتقنية الحيوية والتي يراد بها التطبيق الصناعي للتقدم الحادثة في تقنيات وآلات البحث كما أنها عبارة عن هندسة حيوية تعمل لحل مشاكل العصر الحديث وتحسين نظام الحماية الصحية، وقد ارتبطت بعدة مجالات طبية بيولوجيا كالهندسة الوراثية،، حيث أصبحت التقنية اليوم تسيطر على الطبيعة خاصة في مجال الطبي الحيوي، حيث كان لها انعكاسات مست الجانب الأخلاقي في هذا السياق يقول علي عابد الجابري "إن الأزمة التي تعرضت لها الأخلاق في أواخر القرن الماضي كان مصدرها ذاك التقدم الهائل الذي تحقق في علم الإحياء".[3]

---

[1]_مرجع نفسه

[2]_رشيد دحدوح: من فلسفة العلوم إلى البيوإتيقا، مجلة العلوم الإنسانية، 2012، جامعة منتوري، قسنطينة، ص9

[3]_غيداء الضرابعة: تطبيقات التقنية الحيوية في مجال الطبي، شبكة الالكترونية الموضوع، 2022. تم الاطلاع 2023/05/25. http://www.mawdoo3.com

نقد التقدم التقني الحيوي:

إذا كان التقدم التقني قد عاد على الإنسانية بنتائج ذات قطبين، القطب الإيجابي، وهو الذي أنتجته الثورية للبيولوجيا في مسار الحياة الإنسانية العامة وذلك من التقدم الهائل في مختلف مجالات العلم وخاصة الطبية، إلا أنه هنالك قطب أخر يعكس لنا مخلفات هذا التقدم وهو القطب السلبي، الذي يميز لنا مسار هذه الحياة من تجاوزات للوظيفة الطبيعية للجسد البشري؛ فإن هابرماس يقدم في هذا المجال نقدا لدعاة التقنية الليبرالية الذين يشرعون لاختراق حرمة الجينات الوراثية للإنسان، وفق ما يعتبرونه مبدأ الحرية، ويقول إن أسوء أمراض العالم الحديث هي عندما يتصرف الإنسان على عكس طبيعته البشرية نتيجة مواكبته للتقدم العلمي، حيث أحدث نوعا من القطيعة بين ما يعيشه وما يجب أن يتحلى به من أخلاق"،وفي نفس السياق يرى إدغار موران أن الشر متأصل في الإنسان بحيث يلتقي اليوم مع الشرور والعنف الذي أوجدته التقنية، ويقول: " تطلع علينا الهمجية الحقودة من أغوار التاريخ لتتكالب مع الهمجية باردة الصقيع والمتمثلة في تقنية الخاصة بحضاراتنا، إذ أن التقنية لا تعرف الحسابات وتجهل الأفراد وأجسادهم ومشاعرهم وأرواحهم" بمعنى أن الإنسان بداخله نوعان من الصفات المتأصل فيه (الخير والشر) لكن صفة الشر والغرور تغلبه دائما لذلك نجده يستعمل التقنية الحيوية لأغراض غير مشروعة وتنتج عنها مشاكل أخلاقية كما ذكرنا سابقا مثل تجارب الطبية التي تعود بالسلب على الكائنات بصفة عامة، فكل ما نراه اليوم من تقدم في الأبحاث والآلات الطبية التي من المفروض أن يكون عائدها على الطبيعة البشرية والكونية بالمنفعة فتساهم في تنمية البشرية من جهة وحثه على التزام بأخلاقه الواجبة من جهة أخرى إلا أن سوء استخدام الإنسان لها أو بصفة أدق عند وقوعها بين أيادي شريرة جعلتها تتصف بالسلب، ولكن هذا لا يعني أننا ننكر أن العلم والبحث العلمي وتطبيقاتهما بواسطة التدخل التقني فهي أعادت بمنافع جمة أفادت البشرية ويسرت لها ظروف العيش اللائقة وساهمت في تنميتها وفي تخفيف من حدة الأمراض والأوبئة، ومكنتها من استثمار الموارد الطبيعية، فقد أتاحت التقنية الحيوية آمالا عريضة لمواجهة

الأمراض ومقاومتها، ولعل دورها في مكافحة الأوبئة من خلال صناعة مضادات الحيوية، والأنزيمات والنباتات الصيدلانية والعلاج الجيني لخير دليل.[1]

[1]_ صلعة أحمد، حيلوش مصطفى: المنعطف البيوتيقي في الفكر المعاصر مسار للتنمية، مجلة أفاق العلمية، المجلد13، العدد03، جامعة سيدي بالعباس، 2021، الجزائر، ص21-22.

المبحث الثاني: أهم الموضوعات البحثية في مجال الأخلاق الطبية والحيوية

مع التطورات العلمية وخاصة التطور الذي شهده مجال الطب وتأثير كينونة الكائن وخصوصيته من تجاوزات لحقوق الإنسان وانتهاك لكرامة البشرية كالتحكم في العناصر الوراثية وتغيير مفهوم الأمومة والأبوة، وتجاوز مكانة الإنسان المقدسة وتحكم في حياته وموته، إلا أن الكرامة الإنسانية ومبدأ الإحسان يعدان من المبادئ الأساسية في مجال أخلاقيات الطبية.

المطلب الأول: الكرامة الإنسانية

مفهوم الكرامة الإنسانية :

وتعني الكرامة في اللغة العربية العزازة وهو اسم يوضع للإكرام أي تقدير وعظمة.[1]

أما باللغة الإنجليزية تسمىDIGNITY من الكلمة اللاتينية Dignitas وتعني القيمة

أما في الاصطلاح: فهي صفة يتصف بها الإنسان بما يتعلق به من أفعال التي تجعل منه أهل للاحترام الناس له وحتى لنفسه.[2]

وفي تعريف أخر للكرامة الإنسانية، وهي الرغبة في الحصول على التقدير والاعتراف، بمعنى سعي البشر في تحديد كرامتهم والاعتراف بها داخل المجتمع في صورة يستحقها أي شخص عن طريق التساوي في المنزلة، وجميع الجوانب المهمة وتقبل الناس على ما هي عليه، فالرغبة ليست وإنما الاحترام المستحق.[3]

تعتبر الكرامة هي صفة الفطرية في كل إنسان يتمتع بالعقل، ويقول الله تعالى« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » فنسب جل وعلا التكريم لذاته الإلهية، فكرامة الإنسان مصدرها هبة ومنحة من الله عز وجل لكافة الناس.[4]

---

[1]_ ابن منظور: لسان العرب،جزء2، دار المعارف،(د،س) القاهرة، ص62.

[2]_ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جزء2، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص228.

[3]_ فرانسيس فكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات لدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2006، أبو ظبي، دبي، ص188.

[4]_سمية محمود جربي: فلسفة العلم التطبيقية-الأخلاق الحيوية وطبية نموذجا، الجامعي مجلة علمية محكمة، العدد25، دار الوطنية للكتاب بنغازي،2017، ص98.

البيوتيقا والكرامة الإنسانية:

بعد دخول التكنولوجيا وغزوه لعالمنا، فقد أثرت فينا على جميع النواحي في حياة الإنسان، وخاصة ما شهده العصر الأخير من تطورات في مجال الطب والصحة وعلى مستوى الوراثي، فقد أصبحت تنتهك مكانة الإنسان وكرامته إلا أن البيوإتيقا جاءت كرد فعل تهتم بالجدل الأخلاقي الناتج عن التطور الأحياء والبيولوجيا وخاصة لتدافع على كل ما يمس كرامة الإنسان سواء بسبب المشاكل البيولوجيا أو المسائل المعاصرة التي لم يعرفها الطب في القديم، الاستنساخ، الزراعة الوراثية ، تجميد البويضات...الخ.

فمبدأ الإنسانية يدل في الأساس على حق الإنسان داخل المجال البيوتيقي وواجب احترام الخصوصية الفردية والهوية الوراثية والثقافية، بعدما أصبحت مسلوبة في عصر ينظر فقط إلى الإنجازات والتطورات العلمية والمعرفية عامة ومجال الطب والبيولوجيا.

فتتمثل الكرامة الإنسانية في كون الإنسان مخلوقا عاقلا، وواعيا، قادر على التفكير والتميز ، وعلى بناء حضارات كما أنه يتميز عن غيره من المخلوقات بتمتعه بحرية الاختيار واتخاذ القرارات فهو مستقل بذاته لذالك لا يصح من الناحية الأخلاقية التضحية بإنسان من أجل إنسان أخر ولا يجوز إلحاق الضرر بشخص ما بغرض منفعة شخص أخر فمثلا ليس من الحق أخذ عضو من جسم إنسان دون رضاه وموافقته لزراعته في جسم أخر يحتاجه، حتى وإن كانت فيه إنقاذ لحياة الشخص المستقبل للعضو، ولا يجوز القيام بتجربة طبية دون موافقته على ذلك، فكرامة الإنسان تقضي تنزيهه ومحافظة عليه من أي ممارسة عبثية سواء أكانت تشخيصية أو علاجية أو بحثية، بما في ذلك:

تقديم الرعاية الطبية للمريض بدون أي شروط أو تميز بين الجنسين

لا يصح بأي شكل من الأشكال المتاجرة بأعضاء الإنسان، فيحرم بيعها فيما يباح التبرع بها فالبيع فيه انتهاك للكرامة الإنسانية أما التبرع فيحمل في طياته بعدا أخلاقيا ساميا.

ونركز أيضا على فكرة الموت الرحيم فهي مرفوضة بشكل كليً، سواء بيد المريض نفسه أو بيد الطبيب، فالكرامة الإنسانية تستدعي احترام المريض وحمايته ورعايته والإحسان إليه لا قتله والتخلص منه.

تمنع الكرامة الإنسانية منعا باتا الاستنساخ البشري.[1]

المطلب الثاني: المبادئ الأخلاق الطبية الحيوية

1_ مبدأ الإحسان:

الإحسان هو قيمة خلقية عاطفية تقابل العدل القيمة القائمة على العقل، والتعليل العقلي والعلمي لمبدأ الإحسان يشير إلى تحرر هذه الصفة من المعايير، والاعتبارات العقلية، والمنطلقات التي يعود إليها الإنسان هي الاعتقاد بالتعالي الدلالة الإنسانية عن كل اعتبار، فالجوهر الإنساني هو المبرر الوحيد الذي نعلل به علاقاتنا ومعاملاتنا مع الآخرين، والبيوتيقا كمقاربة أخلاقية للطب، والبحث البيولوجي تجد مبدأ الإحسان إلى غير منطلقا شرعيا، ومشروعا في التعاطي البحثي مع الإنسان، فحسب توم بشامب يشمل الإحسان على نحو أوسع جميع أشكال نشاط الهادف إلى الفائدة أو تعزيز الخير لأشخاص الآخرين، وساعدتهم على عزيز المصالح الهامة والمشروعة وغالبا عن طريق المنع وإزالة الأضرار الممكنة.[2]

وهو أيضا المبدأ القائل بضرورة الرأفة والإحسان بالمرضى والذي ظهرا جليًا منذ وصايا أبقراط الطبيب لتلاميذه في الفلسفة الأخلاقية الطبية القديمة، وتطوره خلال نصف القرن الماضي، فقد كانت المبادئ الأبقراطية المشهورة في قسم أبقراط توجه الأطباء في سلوكهم معتمدة على المحاور أساسية وهامة هي:

مبدأ الإحسان

مبدأ عدم الضرر والمحافظة على المرضى

[1] _ سمية محمود جربى: مرجع سابق، ص98-99

[2] _ أحمد عبد الحليم عطية: الأخلاق التطبيقية، دفاتر فلسفية، العدد9، 2015، القاهرة، ص70.

مبدأ حفظ أسرار المرضى وعدم إفشاء حقيقة أمراضهم وعلاجاتها.[1]

كذلك نجد الأطباء المسلمين يؤكدون على ضرورة مبدأ الإحسان وضرورة التزام الطبيب به حيث يقول الرازي في كتاب أخلاق الطبيب مخاطبا أحد تلاميذه" وأعلم يا بني إنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقا بالناس، حافظا لعيوبهم، كتوما لأسرارهم، لا سيما مخدومه، فإنه ربما يكون ببعض الناس من مرض ما يكتمه عن أخص الناس به، مثل أبيه وأمه وولده وإنما يكتمونه خواصهم ويفشونه إلى الطبيب ضرورة".[2]

كما أشار الطبيب الرازي إلى عدم التجربة بدون علم أو دراية طبية كافية لدى الطبيب ليمارسها على المرضى، ففي ذلك خطر كبير على حياة مرضاه مستشهدا بقول كل من الطبيبين اليونانيين، جالينوس وأبقراط، قائلا وإن لم يكن من أمر التجربة إلا ما قاله الفاضل جالينوس لكفى: أنا أنهى جميع من استشار في صناعة الطب أن يعالج بالتجربة، وقد نهى عن ذلك الحكيم أبقراط حيث ابتدأ وقال: العمر قصير والصناعة طويلة، وزمان جديد، والتجربة خطر فقد صدق لعمري في قوله وإني أنهى عن التجربة في صناعة الطب"[3]، وذلك للحفاظ على صحة المرضى وحياتهم احتراما لكرامتهم وقديسية أجسادهم، فبعد أن كان الإحسان يقصد به الاهتمام بالمرضى والاعتناء به وأخذ قرارات نيابة عنهم في العديد من المجالات أخذ الإحسان منحنى أكثر توسعا يعتمد على استقلالية في الرأي، فأصبح المريض مستنيرا ومطلع على حالته الصحية، وأصبح له الخيار في رفض العلاج أو قبوله.[4]

[1] _ سمية محمود جربى: مرجع سابق، ص99.
[2] _ أبي بكر الرازي: أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص28
[3] _ مصدر نفسه، ص78.
[4] _ سمية محمود جربى، مرجع سابق، ص100.

مبدأ عدم الإساءة:

ويعود تاريخيا إلى أخلاقيات الطب القديمة الأبقراطية والتي تقوم على مبدأ أنه قبل كل شيء يجب عدم إلحاق الضرر فحسب أبقراط ينبغي مراعاة ضرورة انتصار فوائد فعل ما على أضراره.[1]

فمبدأ عدم الإساءة يقتضي عدم إلحاق الضرر بالمريض خلال الإجراءات الطبية كوصف دواء غير ضروري أو إجراء عمل جراحي غير لازم، قصد المزيد من كسب المادي، لأن المريض عادة لا يدرك ما يلزمه وما لا يلزمه من إجراءات طبية التي لا يخضع لها إلى جانب الامتناع عن المعاملة المجففة له من قبل المريض، فلا يجوز الامتناع عن معالجته أو إنهاء حياته ولو كان بطلب من ذويه، كما أنه لا يجوز على الطبيب أخراج المريض من المؤسسة الصحية التي يتلقى فيها العلاج إلا إذا كانت حالته الصحية قد تحسنت.

فمبدأ عدم الإساءة يتضمن المنع القاطع للأفعال التي يمكن أن تترك ضررا على صحة المريض، ومن الضروري التخلي عن المخاطرة الغير المبررة، وتوجيه الجهود نحو الحفاظ على الوضع المُلِح في أكثر الحالات تطرفا، والاكتفاء بالحد الأدنى من الشر، لذلك على الطبيب التحلي بالإتقان وعدم الإهمال أو تقصير وبذل الجهد، لتحقيق أكبر قدر ممكن من منفعة المريض، وتخفيف ما أمكن من الأضرار الجانبية التي قد تنتج عن بعض الممارسات الطبية أي التصرف بالنظر إلى فائدة الكبرى الممكن تحقيقها له.[2]

2_ مبدأ العدل:

العدل كقيمة أخلاقية هو التوازن القائم بين الحق والواجب، فإذا كان من حق المريض على الطبيب أن يعالجه كما تعارف فلاسفة الأخلاق قديما أمثال الرازي، فهل من واجب الطبيب أن يعالج من دون مقابل؟، وللإجابة عن هذه المسألة نصادف إجابات تقليدية مثالية

[1]_. مرجع نفسه، صفحة 99.

[2]فهيمة بوعبيدة: البيوإتيقا من وجهة نظر الدين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الفلسفة، 2015، جامعة الجزائر2 أبو قاسم عبد الله، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، الجزائر، ص27-28

كانطية، والتقليدية النفعية، فمبدأ الإحسان يلزم الطبيب بعلاج المريض، فحاجة المريض للعلاج مبرر كافٍ لواجب العلاج.

ولكن انطلاقا من القرارات الموضوعية لموجبات العلاج تقتضي توفير الرأسمالية اللازمة لتجهيز العيادة الطبية وتوفير العتاد الطبي، لزم هنا مراجعة النفعية القائل بتوفير السعادة لأكبر عدد من الناس، حيث يكون سلبًا لحقوق الأطباء في تقاضي أجور العمل، والجهد.[1]

المطلب الثالث: منطقية الأخلاق الطبية والحيوية

أصبح الإنسان يفعل الأخلاق الطبية والحيوية وهو متمتع بالكرامة الإنسانية، متملكا لحقوقه وحريته، حيث برزت لنا منطقية الأخلاق الطبية الحيوية والتي يعنى بها، أخذ القرار الخلقي، انطلاقا من المعرفة نتائجه وتحليل عواقبه، أو ما ينجر عنه من نتائج فالعمل الصائب هو الذي تتولد عنه أحسن النتائج وأفضلها، وبهذا تمتعت الأخلاق الطبية بكونها منطقية تعمل على الاستدلال والبرهنة على ما للإنسان خاصة والكائن الحي عامة من الحق يجب أن يضعها العالم الباحث سواء أكان بيولوجيا أو فيزيائيا أو طبيبا في حسبانه قبل الخوض في التجارب وفرض الفروض والتحقق منها ليضع القوانين والنظريات، فالأساس أن يكون العلم في خدمة الإنسان ولصالحه، وليس أن يكون العلم في خدمة الإنسان ميدانيا للعلم والبحث، وسيلة يستخدمها الباحث بمطلق حريته بغية الوصول إلى اكتشافات وقوانين علمية جديدة فقط.[2]

وهذا ما جعلنا بدوره للتساؤل حول مدى قابلية الأخلاق الحيوية والطبية للتغير والتبديل عبر معطيات الزمن ومستجداته.

[1] _ مرجع نفسه، ص28

[2] _ سمية محمود جربي،: مرجع سابق، ص100.

يمكننا القول بأن الناظر لتاريخ الطب وقواعده ومبادئه العلمية قديما وحديثا نجد أنه علم كباقي العلوم يتجدد باستمرار، وكل يوم يحمل إلينا منظورا ومبدأ جديدا، قد يغير أو يصحح القانون أو المبدأ القديم.

المبحث الثالث: أراء العرب والغرب في أبي بكر الرازي

إن الفترة التي عاش فيها الرازي كانت فترة تنوير حيث كانت فيها مراكز معروفة وأئمة للمذاهب الدينية والفلسفية على اختلافها، حيث أنه لم يحرق فيها كتاب أو يقتل فيها عالم أو يُكفَّر، بل كانت المناظرة عندهم سلاح والنقد وسيلة، وبهذه الطريقة ارتقت شعوب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطية وساهمت في النقلة الحضارية البشرية، وعلى هذا نجد أن العديد من العلماء والفلاسفة المسلمين كانوا أو غير مسلمين من العرب أو من الغرب فمن هؤلاء من تعرضوا للرازي وآرائه بالنقد سواء ممن عاصروه أو ممن جاء بعده.فيما تمثلت انتقادات العرب لأبي بكر الرازي؟ وكيف كانت تمجيدات الغرب لأعماله؟

المطلب الأول: أراء العرب في أبي بكر الرازي:

أغلب انتقادات التي وجهت للرازي كانت بسب انفصال أفكاره عن الدين ورفضه للنبوة وعلى هذا الأساس نقول:

غالبا ما انتشر مصطلح الزندقة لتعبير عن مسميات كثيرة تتصل بالعقائد والأخلاق والمذهبية فأحيانا يراد بها وصف حال من فارق منهج أهل السنة والجماعة، وأحيانا يراد بها من اشتهر بالمجون والسفه. حيث يعد الرازي ضمن قائمة المتهمين بالزندقة، بالرغم من أنه من أعظم الأطباء في العصور الوسطى،

لقد اختار الرازي طريقا خاصا في التفكير والعيش، وقد شق نهجا فلسفيا دفعه إلى تقديس العقل وإنكار النبوة، فأسقط وساطة الوحي للأنبياء، ودعا الناس إلى البحث المستقل عن خلاص الشخصي كمقدمة لديانة الضمير الفردي، دونما حاجة إلى شرائع الأنبياء.[1]

نقد أبو حاتم الرازي لأبي بكر الرازي: فقد كانت للرازي مناظرة مع أبي حاتم الرازي في موضوع نظرية النبوة، زعم فيها أمور لتفنيد النبوة من أصلها، حيث استفتح محاورته مع أبو حاتم الرازي بسؤال لاهوتي مفاده "من أين أوجبتم أن الله اختص قوما بالنبوة دون قوم، وفضلهم على الناس وجعلهم أدلة لهم، وأحوج الناس إليهم ، ومن أين أجزتم في حكمة

[1] _ من موقع: http://www.10.29355/iuif.2018.9.com تم اطلاع يوم 2023/6/03.

الحكيم أن يختار لهم ذلك ، ويشلي بعضهم على البعض، ويؤكد بينهم العداوات، ويكثر المحاربات، ويهلك بذلك الناس"[1]، إن الرازي يرى بأن الله منح للناس العقل من أجل أن يضعهم في مقام واحد دون تميز قوم عن قوم أخر فإذا حدث غير ذلك فهو في نظره يتناقض مع حكمة الحكيم و عدالة الله في المساواة بين خلقه، وهذا لأن في أصل نشأتهم متكافئون في ملكاتهم وقدراتهم واستعداداتهم لبلوغ درجة الكمال، فيستوقفه أبو حاتم للبرهنة على حجته القائمة على أصل المساواة بين الناس في فطرهم بحسب الإلهام الذي يصدرون عنه، بينما الناس مختلفون، في ملكاتهم زفي مستوياتهم، وهذا التفاوت الذي أوجد فيه الرئيس والمرؤوس والإمام ومأموم... وهكذا.

وينتقده أبو الريحان البيروني: حيثأفرد رسالة قصيرة حول الرازي موجها نقدا لأرائه الفلسفية منها والدينية ، فقد حذر البيروني من آراء الرازي حول الأديان واعتبره متأثر بفكرة الديانة المانوية، كما أنه وجه نقدًا ورافضًا لأراء الرازي المعارضة للفيزياء الرياضية والرياضيات.

في حين أن ابن سينا كان أكثر حدَّة في كلامه من البيروني حيث يقول أن الرازي بدخوله إلى ما وراء الطبيعة قد تجاوز اختصاصه وأنه من أفضل له لو بقى محصورا في الجراحة واختبارات البول والبزار، كذلك يصفه بالمتكلف الفضولي الذي بلغ الغاية في المعالجات الطبية، لكنه تجاوز قدره في بط وتكلم في العورات الخبائث فأضح نفسه وأبدى جهله فيما حاول ورامه.[2]

إذا كانوا أغلبية الفلاسفة معارضين لفكرة استقلالية الأخلاق عن الدين من وجهة نظر الرازي فما هو الدليل على أن الرازي يلتمس بحاكمية العقل استقلال الأخلاق عن المرجعية الدينية؟

[1] _أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة الرد على الملحد أبي بكر الرازي، المؤسسة العربية للتحديث الفكري بجنيف، ط1، 2003، بيروت، لبنان، ص15

[2] _ عمر بن شبة: أبي بكر الرازي، مجلة الرسالة، العدد 861، ويكي مصدر، 1950. الموقع : http://www.ar.m.wikisource.org/com يوم 5/ 06/2023.

إن الرازي لا يتعرض للدين بالخير ولا بسوء، فهو لم ينفي وجود الدين أو انفصاله عن الأخلاق وهذه الاتهامات الموجهة لهو راجعة إلى ظهور مصنفين في إثر الطب الروحاني، الأول عمل على غياب المرجعية الدينية عند الرازي فأضافها أما الثاني فقد حاولوا أن يشيعوا هذا الغياب.

أول المصنفين هو كتاب الطب الروحاني لابن الجوزي(597هـ) فقد عمل هذا الأخير على استنساخ نسخة لمصنف الرازي سواء من ناحية العنوان أو المحتوى أو حتى التبويب لكنه ترك فرق واحد والذي يعتبر جوهريا المتمثل في طمس معالم الاستقلالية الأخلاقية، فعمد صاحب أخبار الحمقى والمغفلين إلى أفكار الرازي المستنسخة فإضافة عليها هيئة دينية ن وذلك لمزجه ما كتبه من أفكار عقلية مستشهدا بالكتاب والسنة ومأثورات السلف، وهذا كله من أجل أن يكون كتاب ابن الجوزي متماثلا لكتاب أبي بكر الرازي أو نسخة أخلاقية دينية لطب الروحاني بمقابل النسخة الإتيقية للرازي، ومن أجل نفي ما يقلونه عليه هنالك أمثلة لا تعد ولا تحصى.

لنتذكر لائحة أفضال العقل كما عددها الرازي، من سيادةٍ على الحيوان وحياة طبية بفضل العلوم والصنائع ومعرفة البارئ، وكذلك يرى أنه بالوعي يتفرد الإنسان ويتميز فالنطق والعقل هما أساس تفرد وتمز الإنسان عن سائر المخلوقات، ومن أفضال العقل أنه يستطيع أن يميز بين ما ينفعه وما يضره فلوله لكنا نشبه البهائم والمجانين والأطفال... وغيرها من تمجيدات فهو لم يذكر عن الدين بسوء كما ادعوا علماء عصره.[1]

كما يعتقد بعض المؤرخين مثل بول كراوس وسارة سترومسا أن أبو حاتم الرازي قد اقتبس تلك الآراء إما من كتاب يسمى "مخاريق الأنبياء" أو كتاب علم الإلهي، فالجدير بالذكر أن جميع كتب الرازي المتعلقة بالأديان مفقودة ولم يصل منها إلا اقتباسات ذكرها منتقديه ومعارضيه، ولذلك يشكك البعض في تلك المقالات.

[1] _ فهمي جدعان: سؤال الأخلاق في الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص120

المطلب الثاني: آراء الغرب في أبي بكر الرازي

بما أنه قد ذاع صيت الطبيب أبي بكر الرازي في ميدان العلم وتوسعه في مجال الطب لاكتشافه للعديد من الأمراض وابتكاره للعديد من الأدوية التي تعالج مختلف هذه الأمراض، فبالرغم من الانتقادات التي قدمت له من طرف بعض الفلاسفة العرب الذين حاولوا مجاراته ووصول إلى أعماله إلا أن نظرت الغرب كانت مغاير لنظرة معاصريه من العرب، فقد انتشرت خبراته وموسوعاته العلمية في كافة العالم، وخاصة الدول الغربية وعرف باسم **(رازيس Rhazes)**

كان لأبي بكر الرازي الكثير من المتأثرين بفلسفته وعلمه وطبه الذي قام باكتشافه وخير دليل نجد العديد من المؤرخين الغربيين الذين أشادوا بأفكاره، نذكر من بينهم **(إريك جون هولميارد** " 1891–1959) عالم و مستشرق بريطاني" يقول على الرازي ، "جاءت الحضارة الإسلامية بالرازي بعد أرسطو بأكثر من ألف عام، فكان نابغة تلك الحضارة وطبيبها" رأي هولميارد في الرازي على أنه جوهر زمانه وهو بمثابة القوة في ميدان الطب في الحضارة الإسلامية، "كان الرازي رجلا عبقريا متحررا رحيما بالمرضى يعالج الفقراء بنفسه"، هذا دليل على مدى امتدادات أخلاقيات الطبية الرازية عند الغرب التي لم يسبقه بها أحد من أطباء العرب خاصة، ويقول عنه أيضا "إن التفكير المنظم والتعبير السليم الواضح جعلا إنتاج الرازي الكيميائي مفهوما وذا قيمة، وأن تصنيفه للمواد الكيميائية على النحو الفريد ليبين تماما مدى بصيرته وإدراكه لموضوعات الكيمياء"، فتمجيد هولميارد للرازي هنا يدل على مدى فطنة الرازي وتركيزه التام في الصناعة الكيميائية خاصة وفي الطب عامة، ويقول بعض الباحثين عنه أيضا " الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معا"[1] وكأنهم يقرون بأنه لم يسبقه أحد في هذه الصناعة، وكذلك درس "ستايلتون" الإنجليزي الكيمياء عن الرازي دراسة موسوعية موسعة، وشهد له أنه بقى بلا ند حتى بزوغ فجر العلم الحديث[2]،

[1]_عمر بن شبة: أبي بكر الرازي، مرجع سابق

[2]_ عبد الحكيم الصعيدي: أبو بكر الرازي طبيب الفقراء، مجلة الداعي الشهرية، العدد1-2، دار العلوم ديوبند، 2012.

وقدم لنا **(ريتشارد وولز)** أحد أهم مؤرخي الفلسفة العربية رأيه في الرازي قائلا: "إننا نشعر عند قراءة كل سطر كتبه الرازي بأننا أمام فكر عال، ورجل يعرف قدره الخاص دون أن يؤدي به ذلك إلى الغرور، وهو لا يحسب نفسه أدنى مستوى لا في الفلسفة ولا في الطب" فحسب رأيه ليس بالإمكان التفوق على سقراط أو أفلاطون أو أرسطوطاليس أو أبقراط أو جالينوس، لكنه لا يتردد في تغير استنتاجاتهم الفلسفية عندما يشعر بأنه قد تجاوز المعرفة، كما لا يتردد في أن يضيف إلى مجموعة العلوم الطبية المتراكمة ما اكتشفه بنفسه باسطة أبحاثه وملاحظاته الشخصية.[1]

كما كان الرازي موضع تقدير الجامعات الحديثة، فقد خصصت الجامعة بريستون الأمريكية اكبر جناح في أجمل بناءٍ لها، لعرض مآثر هذا الطبيب المسلم، الذي يعد أول واضع للعلم الطب التجريبي، إذ كان يجري تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية فيها، ثم يسجل جميع ملاحظاته، وهذا ما يفعله الأطباء الآن، وفي باريس أيضا تعلق كلية الطب على جدرانها صورة الرازي ضمن صور أكبر الأطباء الذين خدموا الإنسانية، ولقد ترجمة كتابه سر الأسرار إلى اللاتينية، وتعرف علماء أوروبا من خلاله على آراء الرازي وابتكاراته وأفادوا منها، ومن الذين استفادوا من أبحاث الرازي الفيلسوف العالم الإنجليزي "روجر بيكون" وقد نسب إلى نفسه الكثير من النتائج التي وصل إليها الرازي وغيره من العرب، إلا أن علماء أوروبا المنصفين أوضحوا بعد ذلك فضل الأطباء المسلمين على هذه الأبحاث.[2]

ومن بين أعماله الأكثر شهرة في أوروبا هي رسالته عن الجذري والحصبة والتي نشرت لأول مرة باللغة العربية، مصحوبة بترجمة لاتينية قام بها "شاننج" بلدن سنة 1766م، وكان قد سبقها ظهور ترجمة لاتينية لهذه الرسالة في غيينا سنة 1060م، كما ظهرت لها ترجمة إنجليزية قام بها جرينهل، نشرتها سيدنهام سنة 1848م، فقد عرفت هذه الرسالة فيما مضى

[1] مرجع نفسه

[2] عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، (د،ط)، 2002، النصر، القاهرة، ص159.

باسم الوباء، وتحتل مكانة عالية من الأهمية في التاريخ علم الأوبئة باعتبارها أول مقالة عن الجذري.[1]

كما وصفت المستشرقة **(زغريد هونكة)** أبي بكر الرازي في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب "أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق" فهو مؤلف الحاوي في الطب الذي ضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925، وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة 400عام بعد ذلك التاريخ ويقال كان طبيبا معدوما فأوجده أبقراط، وكان ميتا فأحياه جالينوس، وكان متفرقا فجمعه الرازي.

وتقول عليه أيضا هونكة كان الرازي أول طبيب يعمد تدوين المشاهدات الإكلينيكية في حالة يعالجها، وبهذا يكون الطب العربي قد دخل مرحلة علمية هامة آثار تطورها في الطب الحديث.[2]

وعليه نرى أن الرازي كان موسوعة في العلوم وكان من بديات حياته صرفا، وكان مثالا في الصدق والنزاهة العلمية كما أنه مارس فن صناعة الطب وأول من دون المنهج التجريبي.

[1] _ عز الدين فراج: نفس المرجع، ص158.

[2] _ زغريدهونكة شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عنها، فاروق بيضون، دار الأفاق الجديدة، ط8، 1993، بيروت، ص344.

الملخص:

_ تعتبر البيوإتيقا كمبحث أخلاقي تطبيقي مختص بمعالجة قضايا الناتجة عن التطبيقات البيولوجية المعاصرة التي أفرزتها التقنيات المستحدثة، في هذا المجال وما قد ينتج عنها من مظاهر قد تهدد الطبيعة بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة

_ من بين القضايا التي تدرسها البيوإتيقا نجد هي البحوث المتعلقة بالنواة، وأخرى لصيقة بالنواة، أما الأخيرة فهي قريبة من النواة كما أن للبيوإتيقا ثلاث مجالات هي:أخلاقيات العيادة، أخلاقيات البحث العلمي، أخلاقيات السياسة الصحية، كما أن البيوإتيقا لها علاقة مع بعض العلوم وذكرنا منها علاقة البيوإتيقا بالفلسفية والتي تعتبرها هذه الأخيرة مبحث من باحث القيم لديها، وكذلك ، علاقة البيوإتيقا بالدين حيث لاحظنا في بدايات البيوإتيقا كانت علاقتها منفصلة عن الدين وذلك لتطور الناتج عن التطبيقات الحيوية فقد غاب عنها الخطاب الديني لكن مع نهاية القرن العشرون رجع الدين وبقوة وحاول أن يفرض شرائعه على التقنيات التجاوزات الطبية التي أثر في حياة الإنسان، وأخيرا علاقتها مع القانون الذي يعتبر هذا الأخير مكملة للبيوإتيقا فهو يحمي ممارسها أخلاقية من أجل حفظ حقوق الإنسان ولقد نتج عنه ما يسمى بالطب الشرعي، فالقانون يعودوا في دراسة قضاياه الإجرامية إلى الطب الشرعي والبيوإتيقا تعودوا إليه من أجل فرض ضوابطه على انعكاسات السلبية الذي ينتجه هذا العلم.

ومن بين مشاكل الأخلاقية التي عالجنها في هذا الفصل المشاكل الناجمة عن التجارب الطبية عن الحيوان، والتى تعود أصل هذه التجربة إلى أبي بكر الرازي وكذلك التجارب على الإنسان والموت الرجيم الذي بدوره نتج عنه مبدأ الكرامة الإنسانية، وعدم الإساءة، والعدل، فهذه المبادئ الأخير نجدها في قسم أبقراط الذي أسسه بهدف احترام حياة الإنسان وكذالك أشاد له أبي بكر الرازي في كتابه أخلاق الطبيب.

وختاما لهذا الفصل قدمنا جملة انتقادات وتمجيدات لأفكار الرازي من طرف العرب والغرب. وعليه ف'نالبيوإتيقا ما هي إلا امتدادات للأخلاق الكلاسيكية، إلا أنها أضافت لها طابع خاص بها وذلك مناظرة لتطور الطب.

خاتمة

من بداية هذا البحث حتى خاتمته؛ حرصت فيه على إظهار دور أخلاق الطبية لأبي بكر الرازي في تنظيم وضبط الممارسة الطبية، وبعد جهد وبفضل الله تعالى توصلت إلى جملة من النتائج نبين من خلالها بدايات ظهور الخلاق الطبية وصولا إلى أبي بكر الرازي وتصوره الممتد حتى عصرنا الحالي، وتتمثل هذه النتائج في ما يلي:

_ تعتبر الأخلاق أهم ركيزة لتطور المجتمعات فهي تسعى دائما إلى وضع ضوابط يقوم عليها المجتمع.

_ إن الاهتمام بالأخلاق كان موجودا منذ أقدم العصور، وهو ما لاحظناه خلال بحثنا هذا فلقد وجدنا أن الخلاق الطبية في الحضارات القديمة كان هدفها الرئيسي هو حفظ كرامة الإنسانية، وهذا ما وجدناه في قسم أبقراط الذي ينص على آداب مزامنة مهنة الطب.

_ كان للعلماء والأطباء من المسلمين القدامى أمثال أبي بكر الرازي وأبو قاسم الزهراوي وابن سينا، فضل كبير في تقدم الطب وذلك من خلال ما قدموه من انجازات وابتكارات، ساهمت على مر العصور بل إلى يومنا هذا في تطور الطب وتقدمه.

_ توصلنا أيضا إلى أن الرازي كان قد سبق عصره في العديد من الأفكار والابتكارات التي بفضلها تطور الطب ممن كان عليه في الفترة التي سبقته خاصة عند جالينوس وأبقراط، فالرازي حاول أن يجمع بين الطب النظري والتطبيقي مثلما هو عليه الطب الآن.

_ بين لنا الرازي أن صناعة الطب لها قواعدها التي ترفع من محترفيها، كما أنها تتطلب أيضا الجانب الإنساني في الطبيب ومن يساعده.

_ يؤكد الرازي على ضرورة الالتزام بقواعد الطب التي نصت عليها المواثيق الأولى التي وضعها أبقراط كما تحدثنا عنها سابقا.

_ يبين لنا الرازي على أنه لا وجود للطب بدون تجربة، ولكن في حدود معينة فلا يمكن لكل من هب ودب أن يمارس الطب يقوم بتجارب طبية لا يحيط بها علما، فهو هنا يحذر الأطباء من أمثال هؤلاء الناس.

_ جمع الرازي بين الطب الجسدي والروحاني، وركز على الطب النفسي، فقد تكون علة المريض سببها الرئيسي هو مرض نفسي، كما أنه يرى أنه يمكن أن يشفى المريض من كلمة طيبة.

_ كما أنه تبين لنا في بحثنا هذا أن الفلسفة العلمية عند الرازي هي تفكير إتيقي بامتياز، وذلك لأنها تشتغل بالخصال لا بالأفعال، وبتطوير الذات وإزهارها وبلوغ ممكناتها أو ما تريد الوصول إليه، فقد حاول أن يبرز لنا دور العقل في تسير أفعال الكائن البشري وسيطرته على الذات فالله وهبنا العقل لكي يكون حاكما لا محكوما عليه.

_ لم ينسى الرازي أن يكتب عن أخلاقيات مهنة الطب التي عليها تبنى الحضارة، فهو يرى أن الطبيب إذا تجرد من الأخلاق الكريمة الفاضلة فإنه يصبح سفاحا للدماء فاضحا للأعراض، ولهذا نجد أن كتبه أخلاق الطبيب يعتبر أول كتاب عربي يحاول فيه وضع ميثاق شرف المهني للأطباء، فقد عرض فيه الكثير من أخلاقيات الطبية، ووجدنا أن أول ما ينبه عليه الرازي في رسالته هذه هو العقد الأخلاقي بين الطبيب ومرضاه فهو يدعو بضرورة معاملة المريض معاملة حسنة ووقوف على مرضاه ومداواة عللهم من دون أي تميز بينهم فلكل مريض له الحق في العلاج.

_ ونستنتج أن من أخلاقيات المهنة الطبية التي يدعوا الرازي الأطباء إلى التزامها هي مواكبة التطور والاكتشاف في مجالات تخصصهم من خلال مواصلة الدراسة الإطلاع على المستجدات الأدوية والأوبئة؛ مثلما تفرضه الآن المستشفيات المعاصرة على الأطباء المشتغلين به.

_ ونستنتج أنه رغم تطور الطب وظهور تقنيات طبية وبيولوجية جديدة، حيث نتج عنها مشاكل أخلاقية كالموت الرحيم والتجارب الأخلاقية على الإنسان والحيوان، والهندسة الوراثية، و مشكلات التقنيات الحيوية التي حاولت أن تبين لنا أن الفكر الأخلاقي القديم غير قادر على استيعابها وتقديم الحلول المناسبة لها، فدخول هذه التقنية البيولوجية ومحاولة استخدامها على البشر خاصة وكائنات الحية عامة، مما زرعت هذه الأخيرة الخوف في

الساحات الفلسفية والدينية والقانونية، فقد جعلت هؤلاء اللجان يفزعون ويهرعون من المخلفات السلبية الناتجة عن هذا التطور، أدى بهؤلاء وخاصة الفلاسفة إلى إعادة إحياء مبحث القيم بصورة جديدة تهتم بهذه المشكلات الناتجة عن التقنيات البيولوجية، المسمى الآن بالبيوإتيقا الذي عمل على تناول هذه المشكلات الأخلاقية.

_ لكن رغم هذه المعضلات الجديدة وظهور أخلاق جديدة كالبيوإتيقا التي تحاول إصلاح ما أفسدته التطورات الطبية إلا أننا نجد الرازي قد سبق هذا التطور أكثر من ألف سنة، كما أثبت لنا أن البيوإتيقا ما هي إلا امتداد للأخلاق الكلاسيكية، فنجد أنه يرفض التجربة على الإنسان لأنها قد تؤدي إلى هلاكه، لذلك نجد أنه راعى حرمة جسد الإنسان وعدم إجراء التجارب عليهن فللإنسان عند الرازي مكانة لا يرقى إليها أي كائن أخر.

_ رغم القوانين والمنظمات والإعلانات التي قدموها الغرب مثل ميثاق نورمبرغ وإعلان جنيف من أجل معالجة هذه المشاكل، كما أنها جعل العقل العربي الغير الدارس ونابه على أن الأخلاق الطبية من صنع العقل الطبي الغربي، فهذا خطأ لأن الأخلاقيات الطبية قد سبقهم في صنعها الأطباء العرب المسلمين أمثال أبي بكر الرازي فهو الذي ناد بها وعمل على تطويرها قبل أن تظهر عند الغرب، وإن صح لنا القول قبل أن يأخذونها الغرب من عند العرب وينسبونها إليهم، ولدليل على هذا فقد وصفت الكاتبة المستشرقة زيغريد هونكه بأن الرازي أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمرجع

أولا_ القرآن الكريم

ثانيا_ المصادر

1) محمد زكرياابن أبي بكر الرازي: السيرة الفلسفية، بول كروس، ترجمة عباس إقبال، مكتبة لسان العرب، (د،ط)،1924، إيران.

2) محمد زكريا ابن أبي بكر الرازي: أخلاق الطبيب، تحقيق وتقديم عبد اللطيف محمد عبد، مكتبة دار التراب، ط1، 1977، القاهرة.

3) محمد زكريا ابن أبي بكر الرازي: الطب الروحاني، تحقيق وتقديم عبد اللطيف محمد عبد، (د،ط)، 1987، القاهرة.

4) محمد زكريا ابن أبي بكر الرازي: المرشد أو الفصول مع نصوص طبية مختارة، تحقيق ألبير اسكندر، دار الشؤون الثقافية العامة،(د، ط)، 1968، بغداد.

5) محمد زكريا ابن أبي بكر الرازي: رسائل فلسفية، نسخة PDF، من الرابط:

www.al.mostafa.com

6) محمد زكريا أبي بكر الرازي: كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها، المطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطى بجمالية، ط1، 1305هـ، المحمدية، مصر.

7) محمد زكريا أبي بكر الرازي: الحاوي في الطب، تحقيق محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، بيروت، لبنان.

8) محمد زكريا أبي بكر الرازي: سر صناعة الطب، تحقيق خالد حربى، دار الثقافة العلمية الإسكندرية، سلسلة تراثنا الفعال، (د،ط)، (د، س)، القاهرة.

ثالثا_ المراجع

أ_ المراجع باللغة العربية:

1) ابن أبي أصبيعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الأول، ترجمة عامر النجار، دار المعارف، ط1، 1996، القاهرة.

2) ابن علي الحسن ابن سينا: القانون في الطب الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ط1، ، 1998، بيروت.

3) أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة الرد على الملحد أبي بكر الرازي، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، ط1، 2003، بيروت.

4) أحمد شوكت شطبي: العلوم الطبية للطلاب السنة التحضيرية في كليات الطبية، الجمهورية السورية ووزارة التعليم العالي، (د،ط)، 2016، سوريا.

5) أمين أسعد خير الله: الطب العربي، مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به، المطبعة الأمريكية، (د،ط)، 1946، بيروت.

6) أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، محمود مرسي عبد الله: في فلسفة الطب، دار النهضة العربية،(د،ط)، 1993، لبنان.

7) أبي بكر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، المجلد5، دار الصادر، ط1، 1977، بيروت.

8) بول ريكور: الذات عينها كأخر، ترجمة جورج زناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005، بيروت.

9) توفيق سليمان: دراسات في الحضارات غرب أسيا من أقدم العصور إلى عام 1190 ق،م- الشرق الأدنى القديم بلاد مابين النهرين، بلاد الشام، دار دمشق، (د،ط)، 1985، دمشق.

10) جعفر مرتضى العالمي، الآداب الطبية في الإسلام مع لمحة عن تاريخ الطب، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين في جوزة العالمية، 1983، قم المقدسة.

11) جاكلين روس الفكر الأخلاقي المعاصر: ترجمة عادل عوا، عويدات للنشر والطباعة، ط1، 2001، بيروت.

12) جان جاك روسو: الخطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ترجمة بوليس غانم، المنظمة العربية للنشر والتوزيع، مركز الدراسات الوحدة العربية، (د،ط)، 2009، بيروت.

13) راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارات الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط، 2009، القاهرة.

14) رحاب خضر العكاوي: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع،(د،ط)، (د،س)، بيروت.

15) رامي ضللي: تاريخ الطب وآدابه، جامعة الشام الخاصة كلية الطب البشري، (د، ن)، (د،ط)، 2020، دمشق.

16) رحيم محمد الشياع: مدخل إلى فلسفة الأخلاق التطبيقية، دار بين الكتب، ط1، 2020، بيروت.

17) زهراوي: رسالة العمل باليد، مقدمة الباب الثاني، دار الثقافة والنشر والتوزيع، (د،ط)، 2000، القاهرة.

18) زغريدهونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، دار الأفاق الجديدة، ط8، 1993، بيروت.

19) سامي خلف حماني: الطب والصيدلة، أمينة للمخطوطات في دار الكتب الوطنية الظاهرية، (د،ط)، 1969، دمشق.

20) سعيد مراد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ط1، 2001، مصر.

21) سفيان حمودة: أخلاقيات مزاولة مهنة الطبية من وجهة نظر المقاصد الشريعة الإسلامية، الجمعية الطبية، (د،ط)، 2005، (د،د).

22) صلاح سرور، الطب في مصادر الإغريق، دار الحضري للطباعة، 2002، الإسكندرية.

23) عيسى بن علي الجويجلي، تاريخ وأخلاقيات المهن الصحية، ملك فهد الوطنية ، (د،ط)، 2008، الرياض، السعودية.

24) عيسى اسكندر معلوف: تاريخ الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي، للتعليم والثقافة، (د،ط)، 2014، (د،د).

25) عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994، القاهرة.

26) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، دار الملايين، (د،ط)، 1970، بيروت.

27) عبد الرحمان بدوي: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1948، القاهرة.

28) عبد الرزاق مسعود سعيد: ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، ط1، 1985، الأردن.

29) عبد القادر، حيزه ممتاز: البحث العلمي الطبي، وضوابطه الشرعية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، السعودية.

30) عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، (د،ط)، 2002، القاهرة.

31) فهمي جدعان وآخرون: سؤال الأخلاق في الحضارة الإسلامية، مركز العربي للأبحاث والدراسات، ط1، 2018، بيروت.

32) فرنسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري عواقب الثورة التقنية الحيوية، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات لدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2006، أبو ظبي، دبي.

33) كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الثاني، كلية الطب، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1989، بغداد.

34) كريمة محمد أمينة: الأخلاقيات الطبية جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2015، بيروت.

35) ماهر عبد القادر محمد علي: مقدمة في تاريخ الطب العربي، دار العلوم العربية، ط1، 1988، لبنان.

36) محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر الغربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 1997، بيروت.

37) محمد عبد شبير: الأخلاقيات المتعلقة بتحاليل الطب، (د،ط)، (د،ن)، 2004، (د،د).

38) محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1948، القاهرة.

39) محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في فلسفة الغربية، دار القبعة للطباعة والنشر والتوزيع، (د،ط)، 1998، القاهرة.

الموسوعات والمعاجم:

1) ابن منظور: معجم لسان العرب، دار المعارف، 1119، القاهرة، مصر.

2) جميل صليبا المعجم الفلسفي جزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، 1982، لبنان.

خامسا المقالات والمجلات العلمية:

أ_ المقالات ومجلات العربية:

1) إبراهيم الهلالي: الأبعاد الفلسفية لأبي بكر الرازي في روحانية الطب، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد10، العدد2، مركز الوطني للبحوث في ما قبل التاريخ، 2020، تلمسان، الجزائر.

2) أحمد عبد الحليم عطية: الأخلاق التطبيقية دفاتر فلسفية، العدد9، 2015، القاهرة.

3) أحمد عبد العليم: الأخلاق البيولوجية والطبية، مجلة شدرات من كتاب، 2016

www.Shazaraat.bologspit.com

4) بلخير بقة: ارتباط الدين بالطب حضارة بلاد الرافدين، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية، مجلد1، العدد2، 2013، جامعة ابن خلدون تيارت.

5) بلحاج العربي:حدود الشرعية للتجارب على الإنسان، مجلة دوان المطبوعات الجامعية، 2011، وهران.

6) حنان ساري، عبد عزيز برغوث: الممارسة الطبية في ضوء المنظومة المقاصد الشريعة الإسلامية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، مجلد17، العدد2، 2018، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

7) حلمي عبد الرزاق: قضية قتل الرحيم، مجلس الأعلى للشؤون الإعلامية، المؤتمر 22، القاهرة.

8) رفاء عبد اللطيف: فلسفة ابن سينا ودوره في التربية، كلية التربية للبنات الجزء الثاني، العدد 13، 2020.

9) رشيد دحدوح: من فلسفة العلوم إلى البيوإتيقا، مجلة العلوم الإنسانية، 2012، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

10) سامي حمارنة الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي، مجلة عالم الفكر، المجلد 10، العدد2، المجلس الوطني للثقافة والفنون وآداب، 1979، الكويت.

11) سمية محمود جربى: فلسفة العلم التطبيقية الأخلاق الحيوية والطبية نموذجا، مجلة الجامعي العلمية المحكمة، عدد25، دار الوطنية لكتاب لغازي، 2017.

12) سالم لسالم: أخلاقيات العمل وورقة مقدمة إلى برنامج تدريبي في الإمارات العربية متحدة.

13) سليمان الحاج عزام: الدعوى التأديبية الناشئة عند مخالفة قواعد الأخلاقيات الطب، مجلة المفكر، العدد08، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

14) سيدي أحمد غزاليك المادة 1 قواعد أخلاقيات الطب، جريدة الرسمية للجهورية الجزائرية، العدد52، 1992، الجزائر.

15) سارة خطاب: الحاوي في الطب أبي بكر الرازي، مجلة كواكب العلمن 2016، صر.

16) سليمان قطاية، الطب العربي، مجلة عالم الفكر، 1979.

17) عبد الله محمد كريم: الآراء الفلسفية لأربي بكر الرازي، مجلة كركوك كلية الدراسات الإنسانية، المجلد14، العدد02، 2019، العراق.

18) علي الهادي طاهر: أبي بكر الرازي: العقل والأخلاق، مجلة آداب البصيرة، المجلد02، العدد97، مركز البصيرة للأبحاث والدراسات والاستشارات، 2021، العراق.

19) عبد العزيز النقر، جوانب أخلاقيات الممارسة الطبية في التراث العربي أبي بكر الرازي، مركز ابن لبنا المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب.

20) عمر بوفتاس: البيوإتيقا نحو الفكر أخلاقي الجديد دفاتير فلسفية، العدد09، 2015.

21) علي عبدودالمحمداوي: البيوإتيقا ومهمة الفلسفية أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية.

22) عمر بوفتاس: موقع البيوإتيقا في إطار المعرفة المعاصرة، مجلة الثقافية الفكرية، عدد31، الفكر والنقد، 1997.

23) فيصل دبدب: المشاهدات الطبية من أبقراط إلى أبي بكر الرازي، مجلة المورد، عدد4، 1977.

24) فريدة أولمو: أخلاقيات الطب عند ابن سينا، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، الملد10، العدد2، 2021، جامعة وهران2، الجزائر

25) فيصل عبد اللطيف ناصر: أبي بكر الرازي مداخلاته وإنجازاته الطبية، مجلة جمعية الأطباء البحرينية العلمية،2010، البحرين.

26) فوزية علوان، سلوى برحايل: قراءة في الأخلاق العربية عبد الحليم عطية أنموذجا، دفاتر فلسفية، جامعة زقازيق، مصر.

27) محمد الجديد: البيوإتيقا مقارنة علمانية، مجلة المؤمنين بلا حدود، مؤسسة الدراسات والأبحاث، 2015، الرباط، المغرب www.mominoun.com

28) مراد بنقاسم: روح الأنوار في كتاب الطب الروحاني لأبي بكر الرازي، مجلة النقد والتنوير، العدد15، 2023، المعهد العالي للعلوم الإنسانية جامعة المنار، تونس.

29) محمد يوسف ذو كفلن علي ساجد: نظرة في مقاصد الشريعة للطب الوقائي في سورة المائدة.

30) ناصر أحمد سنه: الزهراوي وأخلاقيات الطب والجراحة، مجلة الوعي الإسلامي، دار حراء، 2019، القاهرة.

ب_المقالات والمجلات الأجنبية

1_Peter Groff, « leaving The Garden : Al-Razi and Nietzsche as wayward Epicureans »,Philosophie East and West, Vol 64, No4, 2014

2_Thérèse-Anne Druart , « **The Ethics of al-Razi(865-925)** », _ Medieval Philosophie an Theology 6 1997, Printed in The United States of American.

الرسائل الجامعية:

1) أحمد بأحمد: الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة فلسفة، جامعة أبي بكر القايد، تلمسان.

2) حمزة بن عقون: المسؤولية الجزائية للطبيب الجراح في التشريع الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم القانونية، 2018، جامعة باتنة1- حاج لخضر ، كلية العلوم السياسية، قسم الحقوق، باتنة، الجزائر.

3) زنفور قدور: الأخلاق بين الحتمية والحرية باسكال أنموذجا، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير، شعبة الفلسفة، 2016، كلية العلوم الاجتماعية.

4) شرف الدين بن دويه: الأخلاق التطبيقية في الفقه الإسلامي، المعاصر قراءة فلسفية للمذهب المالكي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2017، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، الجزائر.

5) مقداد كهينة: البيوإتيقا والبحث البيوطبي، رسالة تخرج لنيل ماجستير في فلسفة، 2012، جامعة الجزائر2 .

6) مريم شريط: أخلاقيات المهنة الطبية بين التمثل والممارسة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، 2020، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، الجزائر.

7) هنادي عبد العزيز محمد عريقات: رؤية في الأخلاقيات الطبية في الشريعة الإسلامية، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير، برنامج الفقه وتشريعه وأصوله، 2011، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس، فلسطين.

8) يوسف محمد طرادة: المسؤولية الجنائية المرتبة على عمل الطبيب في الفقه الإسلامي، رسالة تخرج لنيل شهادة ماجستير في القضاء الشرعي، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة جليل، 2011.

ب_ رسائل جامعية أجنبية:

[1] _ OkbaDjenane :le Corps Souffrant au Regard De la Philosophie Médicale Chez Al- RAZI (865-925) « essaiintégrant la Philosophie la médecine et le spirituel », Université Paris 8-Vincennes- Saint demis.

المواقع الإلكترونية:

1) ألبير شامز: أخلاقيات مهنة الطب القاموس العالمي للقانون الإسلامي

www.ar.guide.humamtariam.law.org.com

2) شيخ أحمد ألبان: ميثاق شرف مهنة الطب لدى الإمام الرازي، لمحة عن مقتطفات الميزة، إسلام آون لاين، www.islamonline.net.com.

3) Mirit Azad: نبذة حول المنهج القائل أبو قاسم في فلسفة الإسلامية ، مجلة المعارف، 2023. www.a3erf.blog.com

4) مفهوم الوظيفة المهنية، جامعة أم القرى، الموقع www.Uqu.edu.Sa/page.ar.com

5) Thomas Sirk Petersen , Jesper Ryberg: Applied Ethics, Oxford Bibliographies, 2019

1) http://www.oxfordbibliographies.com

الملخص

الملخص:

يتمحور موضوع دراستي حول أخلاقيات الطب عند أبي بكر الرازي، تم فيه التعرف على تصورات الفلسفية لأبي بكر الرازي المتمثلة في معالم الفلسفية الخمسة (الله، النفس، الهيولى، المادة والفضاء)، وتبلورت افكاره وممارسته الطبية التي كانت سابقة لعصره موازية مع عصرنا الحالي فهو قد وضع لنا أداب مزامنة مهنة الطب تساهم هذه الأخيرة في توطيد العلاقة بين الطبيب والمريض كما أنه ممارسته الطبية لم تقتصر على الجانب النظري فقط بل شملت الجانب التجريبي التطبيقي؛ وبالرغم من ظهور مشكلات أخلاقية جديدة ونشأة مصطلح أكسيولوجي جديد يعرف بالبيوإتيقا إلا أن الرازي من خلال مهنته الطبية ومؤلفاته وخاصة أخلاق الطبيب وضحت لنا أنه قد عالج أغلب هذه المعضلات في زمانه وهذا دليل على أن البيوإتيقا مرتبطة بالأخلاق الطبية الكلاسكية إلا أنها متجددة مثل أي علم أو فرع جديد تحمل قوانين وأفكار جديدة.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق _ الإيتيقا _ الطب _ المهنة_ البيوإتيقا_ الكرامة الإنسانية

Abstract

The subject of my study revolves around the ethics of medicine when Abu Bakr Al-Razi, in which the philosophical perceptions of Abu Bakr Al-Razi were identified represented in the five philosophical landmarks (God, the soul, the Cytoplasm, matter and space), and crystallized his ideas and medical practice that were ahead of his time parallel to our current era, as he has developed for us the etiquette of synchronizing the medical profession The latter contributes to the consolidation of the relationship between the doctor and the patient, as his medical practice was not limited to the theoretical side only, but included the experimental side of the applied Despite the emergence of new ethical problems and the emergence of a new axiological term known as biotechnology, Al-Razi, through his medical profession and writings, especially the ethics of the doctor, explained to us

that he had addressed most of these dilemmas in his time, and this is evidence that bioethics is linked to classical medical ethics, but it is renewed like any new science or branch carrying new laws and ideas.

Keywords : Ethics _ Etiqua _ Medicine _ Profession _ Bioethics _ Human Dignity.